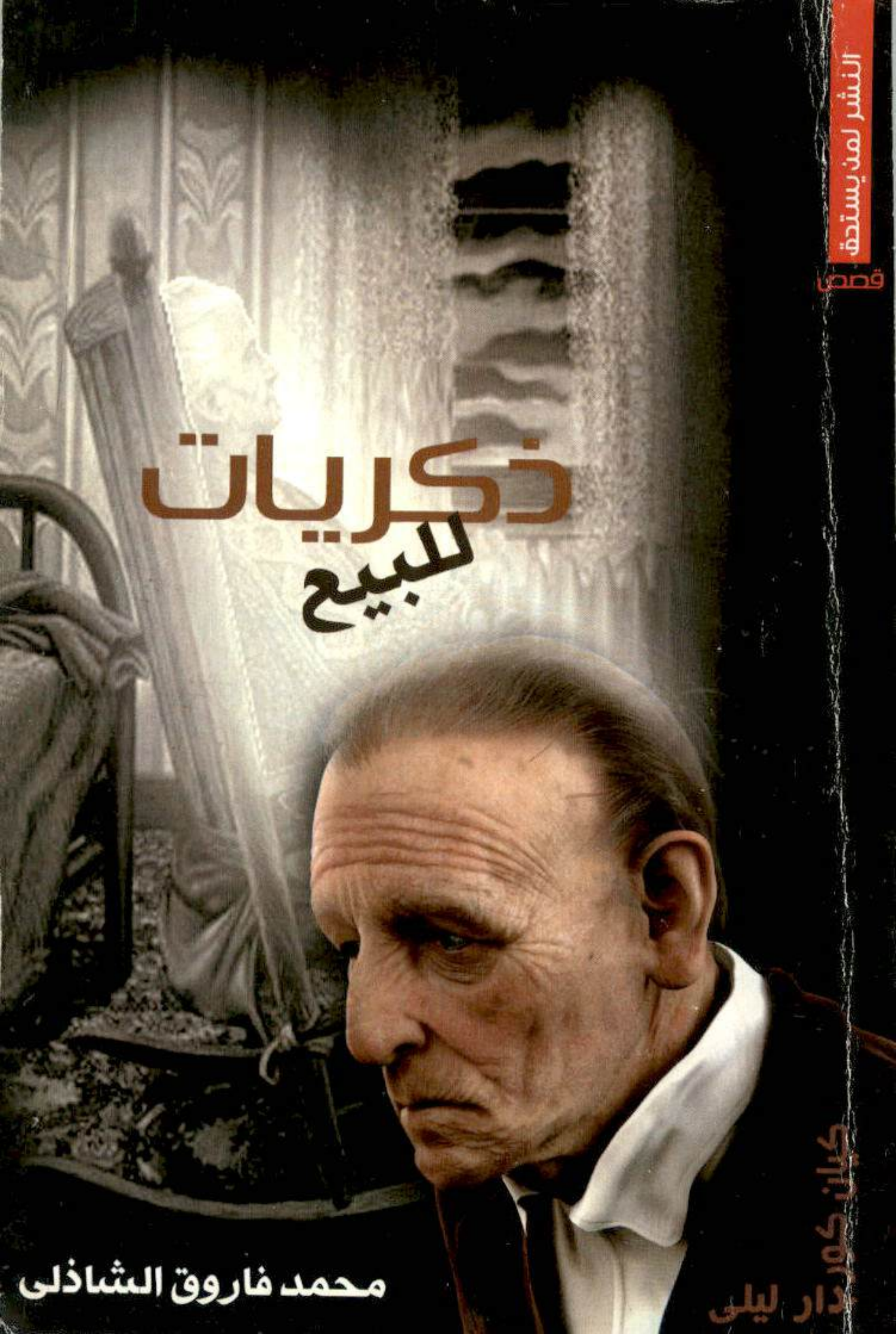

النشر لمن يستحق
قصص
ذكريات
للبيع
محمد فاروق الشاذلى
دار ليلى

محمد فاروق الشاذلي

"ذكريات للبيع"

كيان كورب للنشر والتوزيع
(دار ليلى)

الكتاب:

ذكريات للبيع

المؤلف:

محمد فاروق الشاذلي

الغلاف:

محمد محمود

الإخراج الفني:

حسام سليمان

التدقيق اللغوي:

محمد عبد الغفار

★★★

إدارة التوزيع:

عبد الله شلبي

الإشراف العام:

محمد سامي

★★★



رقم الإيداع: 21463/2011

الترقيم الدولي: 978-977-6386-75-4

المهندسين-23 شارع السودان–تقاطع مصدق-الدور الرابع–مكتب 11
هاتف: (002) (012) 3885295 - (002) (02) 33370042
البريد الإلكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darlila.com

محمد فاروق الشاذلي

"ذكريات للبيع"

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى



مقدمة الناشر

كانت دار ليلى (كيان كورب).. منذ ما يزيد على أربع سنوات.. قد أطلقت مشروعها (النشر للجميع.. ولمن يستحق) الذي نال استحسان الكثير من المواهب وقتها.. التي أصبح البعض منها كُتّابًا محترفين بعد ذلك.. أو توجهوا لمشروعات ثقافية متنوعة.. لمعوا من خلالها.

ومع ازدياد كمٍّ الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة 25 يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر.. أصبحت سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة.. خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات.. وإحجام كثير من دور النشر عن ممارسة نشاطها بتوسع.. وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري.. كذلك صارت عملية النشر محفوفة

بالمخاطر.. التي تخيف طرفيها -الناشر والقارئ- على حدٍّ سواء.. وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت -بشدة- اقتصاديا.. ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال.. فكرنا في حل بديل.. هو "النشر لمن يستحق".. وتطورت الفكرة كثيرًا.. إيمانًا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية.. وحرصًا منها على استمرارها في دورها.. وإيمانًا منها -كما عهدتموها- بالشباب الموهوب.

لذا فقد قررت الدار إحياء مشروعها "النشر لمن يستحق" لفترة محدودة هذا العام.. وعلى مراحل.. وبشكل استثنائي.. لعل ذلك يحرك المياه الراكدة.. آملين أن يحقق ذلك مجموعة نتائج.. على رأسها:

- توفير الفرصة للراغبين في النشر أن ينشروا أعمالهم.. وأيضًا عبر دار نشر لها اسمها.. ولله الحمد.. مع كبار الكتاب.

- تحقيق الأمان الاقتصادي للكاتب؛ حيث يضمن عـودة ما دفعه بعد عام واحد.. مـع هـامش ربـح خفيـف.. إضـافة إلى الغرض الأسمى.. وهو أن يرى أعماله منشورة.

- تحقيق المصداقية والوضوح بين الناشر والكاتب.. عبر شكل وبنود العقد الذي يعتمد على حماية الملكية الفكرية.. كما هي عادة عقود "دار ليلى".

- تـوفير عنـاوين جديـدة ذات قيمـة للـسوق المـصرية.. الأمر الذي يخدم العملية الثقافية.

ندعو المولى -عز وجل- أن يكلل مجهوداتنـا بالنجـاح.. وأن ينال مشروعنا رضـاكم.. وكلنـا ثقـة أن كـثيرًا مـن الأسـماء التـي تنشر من خلال هذا المشروع ستصبح -مثل سابقيها- بإذن الله من اللامعين في مجالات ثقافية عدَّة.

الناشر



إهداء

إلى أبي – يرحمه الله – أشكرك على كل ما فعلت من أجلنا.. وأعتذر أنني فهمت ذلك متأخرًا.

إلى أمي التي بذلت مجهودًا فوق الوصف لكي نصبح رجالاً.

إلى زوجتي: لولا دعمك المتواصل ووقوفك المستمر إلى جانبي ما حققت شيئًا.

إلى ابنتيَّ رقية وخديجة: بسماتكما هي المصباح الذي أنار لي كثيرًا من الظلمة.

إلى إخوتي أيمن وإيمان وأحمد: أنتم شركاء فيما حققت.

إلى محمد فوزي ورحاب غزال وليوبينكا أندريافيتش: لكم كل الشكر على ما قدمتموه لي في مشوار حياتي.

إلى عصام الصباغ ومحمد عاطف ومحمد طه وعمرو مأمون وعماد حسن و مصطفى زينهم وعمرو البرقوقى: صداقتكم هي الكنز الحقيقي الذي ربحته في هذه الحياة.

الخائن

صباح يوم جديد يبدأ الآن وأنا أفتح عينيَّ بصعوبة لأستيقظ. كانت بجواري على السرير.. وجهها الملائكي أشرق على يومي قبل أن تشرق الشمس.. تسحبت حتى لا أزعجها وذهبت إلى العمل.

كانت الشوارع مزدحمة كالمعتاد.. حركة المرور البطيئة تصيبني دائمًا بالتوتر.. لهذا أخرج من بيتي مبكرًا ودائمًا أصل إلى

العمل مبكرًا جدًا.. قررت اليوم أن أتناول إفطاري بأحد المطاعم القريبة من عملي حتى يحين موعد العمل.. لم يكن المطعم مزدحماً.. كانت تجلس في الطاولة المواجهة لي امرأة وحيدة.. جميلة.. تنظر ناحيتي.. تبتسم ابتسامة خفيفة وهي تلقي بنظراتها نحوي.. نظرت إلى عينيها.. لست أدري لماذا تسمرت عيناي عليها.. الآن ترتسم على شفتيها ابتسامة ثقة.. أومأت برأسها علامة التحية.. أومأت برأسي أيضًا.. أشارت من طرف عينيها أن أشاركها الطاولة.. ترددت في البداية.. لكنني اتخذت القرار.. نهضت وسرت نحوها.. توقفت على بُعد خطوة منها.. كانت بسمتها تشجعني وتدعوني أن أتقدم هذه الخطوة.. خطوت خطوة.. وراء خطوة.. ثم عدة خطوات.. تجاوزتها.. نظرت إلى يدي اليسرى.. رفعت يدي إلى فمي وقبلتها.. بل الحقيقة أنني كنت أقبل زوجتي في خاتم زواجها الساكن إصبعي منذ عدة سنوات.. كنت أيضًا أعتذر لها عن خيانتي التي حدثت الآن.. هي حتمًا لا تستحق مني ذلك.. هي ملاك يسكن حياتي كلها.. أنا أكره أن أكون خائنًا.. لكنني خنتها الآن بنظراتي.. خنتها بمجرد فكرة عبرت رأسي لثوانٍ.. ماذا لو كانت هي في الموقف ذاته؟ أثق أنها لم تكن لتفكر في الأمر.. فالقرار

محسوم لديها من قبلُ.. وهل كنت أقبل أنا أن تفعل هي ما فعلت أنا الآن؟ حتمًا كنت سأغضب وبشدة.. لقد وهبت نفسي لها منذ رأيتها للمرة الأولى.. ولأنني الآن ملك لها فلا يحق لي أن أذهب ببصري أو عقلي أو قلبي بعيدًا عنها.. هي التي وقفت دائمًا بجانبي.. هي التي حولت جحيم حياتي السابق إلى نعيم دائم.. هي التي ملأت حياتي حبًّا وأغرقت قلبي حنانًا خالصًا.. هي التي أصبحت الدواء لكل ما يعكر صفو حياتي.. يكفي أنها في حياتي.

هرولت عائدًا إلى البيت.. كان وجهها الملائكي وبسمتها الصافية أول من استقبلني على الباب.. كانت في عيني أجمل ملايين المرات من كل نساء الدنيا مجتمعات.. قبلت جبينها.. أجابت: "وحشتني" ثم ضمتني.. قدمت لها زهرة حمراء فابتسمت.. الآن عدت إلى الجنة.



الساعة

إنها الآن الواحدة صباحًا.. ما الذي وضعني في هذا الموقف؟ بعيدًا عن بلدتي أجوب شوارع القاهرة بلا هدف.. يحيطني اليأس من كل مكان.. حتى وجوه الناس التي تمر أمامي الآن تعلوها قسمات لم أعتدها على أوجه المصريين.. يبدو أن القاهرة لم تعُد ترحب بزائريها هذه الأيام.. فقد فقدت حافظة نقودي في اللحظات الأولى التي صافحت عيناي فيها سماء القاهرة.. ومن بين ما فقدت الورقة المدون بها عنوان خالي الجديد ورقم هاتفه.. وبذلك أصبحت

حبيس شوارع القاهرة.. أصبحت القاهرة أكثر ازدحامًا مما سبق.. الضوضاء في كل مكان حتى بعد أن تجاوزت الساعة الواحدة صباحًا.. ألا ينام أهل القاهرة أبدًا؟! قررت الاتصال بمنزلي كي أحصل مرة أخرى على رقم هاتف خالي علـه يخرجني من هذا المأزق.. لكنْ عامل مكتب الاتصالات رفض - بتهذيب شديد مغلف بحدة وحزم - لأنني لا أملك نقودًا للاتصال.. ذهبت مشيًا إلى المنطقة التي يسكن بها خالي من خلال ما بقي في الذاكرة من الورقة المسروقة.. كانت بعيدة.. لكنني احتملت آلام السير علَّني أجد الفرج في النهاية.. حينما وصلت إلى الحي اكتشفت أنه أكبر من قريتي كلها عدة مرات وأنه لا يمكن الوصول إلى مبتغاي من دون العنوان المفصل.. تذكرت والدي المريض وهو يرجوني ألا أذهب إلى القاهرة وأتركه وحيدًا مع ابني الصغير.. كانت رحلتي إلى القاهرة هي الأمل الوحيد لتدبير مبلغ - ولو بسيطًا - لشراء دواء لأبي وطعام لابني.. لكن النتيجة أنني الآن لا أملك عنوان خالي أو رقم هاتفه.. لا أملك نقودًا للعودة ولا أدري ماذا أفعل.. الساعة.. إنها الآن الثانية صباحًا.. الساعة.. نعم هي الحل الوحيد الآن.. لكنها من نوع رديء ولا تساوي شيئًا.. لا شكرًا.. لا أتعامل في هذا النوع..

لا تصلح للبيع.. عفوًا.. كلمات عدة تحمل المعنى نفسه كما لو أن كل أصحاب محال الساعات تآمروا على حالتي.. بقيت الساعة في يدي وعقاربها تتقافز في سرعة كأنها تخرج لي لسانها.. قررت أن أبيعها للمارة ولو بثمن بخس.. صوت أبي يملأ أذني: يا بني لا تسافر.. قسمات وجهه تتألم في صمت تحفزني أكثر كي أسافر.. صغيري وهو يتضرع أن أصحبه معي.. دموعه تملأ عينيه.. المارة لا يكترثون لندائي.. أنين أبي.. بكاء طفلي.. صوت عقارب الساعة.. خطوات الناس على الطرقات.. نظرات شفقة لا أحتملها.. نظرات تعاطف لا تجدي.. ابتسامات هازئة تقتلني.. حتى هؤلاء الطيبون الذين أرادوا مساعدتي كانت نظراتهم تشك.. فكانت مساعدتهم مجرد كلمات مواساة.. هل ما زال طفلي يبكي؟ هل بكاؤه الآن من الجوع أم لفراقي؟ الجميع يرفض شراء الساعة.. أو ربما لا يملك أحد ثمنها الزهيد.. فلأعبر إلى الجهة الأخرى من الطريق ربما كان المارة هناك أفضل حالاً من هنا.. أبواق السيارات المسرعة جعلتني أتراجع.. أصوات شباب ضاحكة تعلو.. هل أجد بينهم مشتريًا.. هرولت إليهم.. كانت رائحة الخمر تفوح من أفواههم.. لكنني كنت أفكر فقط في نقود العودة: هل من مشترٍ لهذه الساعة؟ الساعة؟

هاهاهاها.. الساعة كام على باب السيما الساعة كام.. أرجوكم لا تسخروا مني أنا في حاجة لثمنها.. لماذا؟ هل منعتك أمك المصروف اليوم؟ ضحكاتهم تعلو ومعها ضغط دمي.. توجهت نحو أحدهم.. من فضلك اشترِ هذه الساعة.. تلتهب نظرات السخرية في عيونهم.. تلتهب أعصابي.. لكنني أحاول مجددًا.. إنها رخيصة ولن تكلفكم الكثير.. هيا اذهب من هنا.. تبًّا لكم أيها النصابون.. هكذا قال أضخمهم وهو يدفعني بعيدًا.. كانت يده قوية.. لم أتمالك نفسي.. أندفع إلى الوراء.. حافة الرصيف تهرب من تحتي.. أسقط أرضًا وأنا أبكي من داخلي.. أبي كيف أنت الآن؟ أحاول أن أتشبث بأي شيء.. طفلي هل أكلت أم لا؟ ارتطمت بالأرض.. يا بني لا تسافر.. تطير الساعة من يدي.. أراقبها وهي تعلو.. ثمن الدواء غالٍ ولا أملك النقود.. الساعة تهبط بسرعة إلى الأرض.. نفد الطعام من البيت وصغيري لا يصبر على الجوع.. ترتطم الساعة بالأرض.. بكاء طفلي يحتل أذني.. تتناثر الساعة قطعًا صغيرة أمام عيني.. أنين أبي يعلو.. تمر سيارة مسرعة فوق الباقي من قطع الساعة.

كان اليأس يمزق قلبي.. جلست على حافة الرصيف واضعًا

رأسي بين كفي.. رغمًا عني انهمرت دموعي في صمت.. يد تربت على كتفي.. وجه مبتسم يملؤه النور.. كان شابًا هادئ القسمات.. سألني عن قصتي فأجبته.. دعاني للعشاء وصاحبني حتى محطة القطار واشترى لي تذكرة العودة.. حينما صافحته لأودعه وأشكره دس في يدي ورقة مالية من فئة كبيرة.. حاولت أن أشكره على الأقل.. ابتسم وانصرف.

عائدًا الآن إلى بيتي مع نسمات الفجر.. في يدي دواء أبي وطعام ولدي.. بداخلي قرار أن أرد الجميل.. لكنني لا أعرفه ولا أعرف عنوانه.. لا أعرف حتى اسمه.. لكن يمكنني رد الجميل بمساعدة الآخرين في مواقف المحنة قدر استطاعتي.. طفلي ينتظر في الشباك.. ما إن رآني حتى هرول إليَّ مبتسمًا.. ارتمى في أحضاني.. حملته إلى الدار.. صوت أبي يدعو لي بعد أن صلى الفجر.



السينما

إنه الفن السابع الذي ألهب خيال الملايين منذ قرن من الزمان.. صعد بالبعض إلى عنان السماء من شهرة أو مال.. وهبط بآخرين إلى الحضيض حينما فشلوا في التعلق بأذياله.. لقد شكل هذا الفن وجدان ملايين البشر عبر رحلة امتدت مائة عام أو يزيد قليلاً.. كان السبب في خير أصاب البعض.. كما كان السبب في شرور عدة أصابت آخرين.. وأعتقد أنني أشهد الآن واحدًا من شروره التي تصيب الناس.. والسبب هو ذلك الفيلم المعروض الآن بإحدى دور

العرض التي كانت منذ شهر واحد فقط واحدة من دور العرض الـتي لا تلقى إقبالاً من الجماهير فأصـبحت الآن الوحيـدة الـتي يتهافـت عليها الناس في مدينتنا الضخمة.. وقبل أن أخبركم بالسبب أود أولاً أن أخبركم عن صاحب دار العرض هذه.

إنه رجل لا تاريخ له.. ظهر فجأة إلى حياة الناس.. فقبل أن يشتري هذه السينما لم يكن أحد يعرف عنـه شـيئًا.. وكـل مـا قيـل عنه يبدأ فقط منذ أن اشـترى هـذه الـسينما.. ولا أحـد يعـرف عنـه شيئًا قبل هذا.. كما أنه رجل أقل ما يوصف به أنه غريب حقًا.. فلا أحد يدري أين يعيش ولا أحد يدري إن كان له عائلة أم لا.. والأسوأ هو أنه لم يشاهَد قط من قبل أي إنسان خارج هذه السينما.. حتى إن البعض قد رجح أنه يعيش داخل حجـرة مكتبـه القابعـة أعلـى دار العـرض وهـو دائمًـا يرتـدي البدلـة الـسوداء نفـسها ذات القمـيص الأبيض وربـاط العنـق القـصير ذا اللـون الأحمـر القـاني.. وبـشرته بيضاء تمامًا كأنما لم يتعرض للشمس قط.. أشيب الـشعر كأنمـا بلـغ من العمر عتيًا وعلى الرغم من هذا فهو يبدو دائمًا موفـور الـصحة.. وأجمع من رآه أنه لا يبتسم قط.. هذا هو الرجل الذي أحدثكم عنه.

أما دار العرض فكانت من قبل واحدة من تلك الدور التي لا تلقى قبولاً من الجماهير.. وعلى الرغم من أن حالها لم يتغير كثيرًا منذ أن اشتراها هذا الرجل فإنها أصبحت الآن دار العرض الوحيدة التي تجتذب المشاهدين.. وهي تعرض الفيلم الذي دفعني للكتابة الآن.. فهذا الفيلم حينما عُرض في دور عرض أخرى لم يستمر عرضه سوى يومين اثنين فقط.. حتى إن إحدى قاعات العرض رفعته بعد العرض الأول.. وأجمع النقاد الذين شاهدوه أنه لا يمكن أن يصنف على أنه فيلم بالأساس أو أنه ينتمي لعالم الفن أصلاً.. فما الذي دفع بهذا الفيلم إلى الصف الأول على الرغم من أنه لا يعرض إلا بدار عرض واحدة؟ إنها الشائعات.. فقد أشيع أن من يدخل الفيلم في هذه الدار تحديدًا فإنه يرى وجهه بين وجوه المجاميع هائلة العدد التي تظهر في عدة مشاهد من الفيلم.. ومما غذى سريان هذه الشائعة أن بعضهم (وربما كانوا من المأجورين) قد أقسم إن وجهه قد ظل معروضًا على شاشة العرض بين وجوه الكومبارس لمدة قاربت على دقيقة كاملة وإنه كان يرى ملامحه بكل وضوح.. وقد

قال آخر إن زوجته ذهلت تمامًا حينما رأت وجهـه علـى الـشاشة علـى الـرغم مـن يقينهـا أن زوجهـا كـان مـسافرًا إلى إحـدى الـدول العربية ولم يعد إلا هذا الأسـبوع فقـط ممـا يـستحيل معـه احتمـال تصادف وجوده في مكان تصوير أحداث هذا اللغو الـذي يطلـق عليـه فيلما سينمائيًّا.. هذه الشائعة التي سرت بـين النـاس سـريان النـار في الهشيم دفعت الآلاف من البشر للتزاحم أمام دار العرض الغريبة هذه.. وهو ما شجع إحدى دور العرض على عرض الفيلم مرة أخرى في قاعتها الرئيسية.. إلا أن أيًّا من مشاهديه لم يحدث معه ما حدث مع الدار الأخرى أبدًا فتم رفعه من العرض مرة أخرى.

وأكثر ما يـثير حنقـي تلـك اللوحـة الهزليـة الـتي يعلقهـا صـاحب دار العـرض أمـام البـاب.. وكتـب عليهـا بـاللون الأحمـر والأرضـية الـسوداء: "قبـل أن تخطـو إلى الـداخل عليـك أن تـستعد للمفاجأة".. وهي تستثمر بشكل أو بآخر تلك الشائعة كمـا تـستثمر اسم هذا الفيلم الأحمق الذي سماه صانعوه "المفاجأة".

أمر غريب يحدث في هذه الدار.. فهل هناك من يكشف عنه اللثام؟

كان هذا نص المقال الذي كتبته ونويت أن أرسل به للمطبعة كـي ألحـق الطبعـة الأولى.. لكـن خـبرًا تم بثـه مـن دقـائق معـدودة جعلني أؤجل إرساله لحين معرفة ما تسفر عنه الأمور.. كان الخبر يقول: إن خبير الخدع السينمائية الشهير حسام الشاذلي (الذي عمل لفترة طويلة في استوديوهات هوليوود مع أعظم مخرجيها وعاد منذ عامين ليستقر هنا).. كان هذا الخبير يعلن رفضه المطلق لمثل هذه الشائعة وأنها لا تخرج عن كونها خدعة متقنة بشكل ما من أحـدهم وأنـه سـيذهب بـصحبة بعـض أرقـى الخـبراء في مجـال البصريات وعلم النفس والسينما والأشـعة بـصفته خـبيرًا في الخـدع السينمائية ومعهم أدواتهم لكشف زيف الخدعة التي يتعـرض لهـا جمهور هـذه الـدار وأنـه يتحـدى صـاحب دار العـرض أن يـدعوهم لإجراء هذه التجارب.. وفي صباح اليـوم التـالي كـان الخـبر يتـصدر صفحات كبريات الجرائد اليومية من مختلـف ميولهـا (سياسـية – أدبية – رياضية.. فضلاً عن الفنية.. حتـى إن الأمـر تخطـى حـدود الوطن إلى ما هو أبعد من ذلك) وحتى صباح اليوم التالي لم يصدر عن صاحب دار العرض أي تعليق.. كل مـا حـدث أن مـدير دار العـرض صرح تصريحاً مقتضبًا لإحدى الصحف المغمورة قليلة الانتـشار بـأن

ما يحدث في دار العرض لا يعرف عنه شيئًا وأنه لا يملك أي معلومات للنشر حول هذا الصدد.. وكان هذا التصريح الصغير كفيلاً بأن يرتفع توزيع الصحيفة المغمورة إلى أرقام فلكية في هذا اليوم.. وهو ما أثار حفيظة حسام الشاذلي الذي كرر تحديه مرة أخرى وهو أكثر ثقة بنفسه من ذي قبل وانتظر الجميع ما قد يسفر عنه هذا التحدي.. لكن هذا لم يمنع أو يخفف الزحام غير العادي أمام باب دار العرض التي أعلنت عن فتح أبوابها 24 ساعة للجماهير لمشاهدة الفيلم.. أما صناع الفيلم أنفسهم فلم يتكلم أحد منهم للصحافة أو الراديو أو التليفزيون أو حتى مواقع الإنترنت ولا بحرف واحد.. بل احتجبوا جميعًا عن الأنظار تمامًا.. حتى إن منتج الفيلم ومخرجه قد سافرا إلى خارج البلاد حتى تنتهي هذه الزوبعة المحيطة بالفيلم.. وهو أمر مريب آخر.. فهي فرصة لصناع الفيلم وممثليه للظهور أمام عدسات الكاميرات والصحافة ليزدادوا شهرة وثراء.. لكن أيًّا من هذا لم يحدث أبدًا.. فقط صمت مريب سيطر على الوضع.. وهو ما دفع مزيدًا من الجماهير إلى محاولة الحصول على تذكرة دخول العرض.. وهو ما لم يفوته البعض فارتفع ثمن التذكرة من عشرة جنيهات إلى مائة جنيه في ثلاثة أيام فقط.. إلا أن

الزحام لم يتأثر أبدًا.. فقد أتى الجميع بين مصدق للخبر ويريد أن يرى وجهه على شاشة العرض ومتشكك جاء ليتأكد بنفسه ومكذب جاء ليفضح الكذبة.. ولهذا وجدت الصحافة والتليفزيون مقرًّا دائمًا لها أمام باب دار العرض لمحاولة الحصول على تصريحات من الجمهور بعد خروجه.. لكن التصريحات تضاربت تمامًا.. فهناك من أكد الخبر وأقسم على ذلك.. وهناك من نفاه تمامًا.. وهناك من قال إنه رأى من يشبهه بين جموع الكومبارس دون أن يتأكد إن كانت هذه ملامحه فعلاً أم لا.. وعلى هذا لم نحصل بعدُ على إجابة شافية بالمرة.. أغرب ما شدني لهذه الحكاية هو موقف الجهات الرسمية التي أجمع كل مسئوليها على رفض التعليق على الأمر على الرغم من أن حالة البلبلة هذه مستمرة لشهر كامل حتى الآن.

أخيرًا ظهر صاحب دار العرض بعد خمسة أيام من الصمت المطبق.. ليعلن أن ما يحاوله حسام الشاذلي لن يؤثر إلا عليه وطاقمه بالسلب.. وينصحه بألا يقدم على ما أزمع القيام به.. وعلى الرغم من ذلك فهو يرحب به هو ومن أراد من فنيين أو خبراء للحضور لاستجلاء الحقيقة التي زعم صاحب دار العرض في تصريحه أنه

حريص عليها كحرصنا جميعًا.. وهنا جُن جنون حسام الشاذلي وأعلن أنه سيزور دار العرض الليلة ومعه طاقم كامل لكشف الحقيقة سواء أكانت شائعة أم خداعًا بصريًّا أم أي شيء آخر.. فإنه سيعلن نتيجته بكل شجاعة وبكل صراحة.

وفي المساء احتشد آلاف من البشر أمام باب دار العرض وآلاف أخرى من ناقلي الأخبار.. سواء لصحف أو لتليفزيونات أو لمواقع إنترنت أو حتى لهؤلاء الفضوليين.. وهكذا تحولت المنطقة التي تقع بها دار العرض إلى ما يشبه يوم الحشر.. وما إن ظهرت السيارات التي تقل حسام الشاذلي ومعاونيه ومعداته حتى انقضت عليهم الصحافة والتليفزيون للحصول على تصريح منه.. لكن علامات الحزم والجدية المصاحبة للصمت المطبق منه ومن معاونيه صرفت عنه هذا الحشد حتى دخلوا إلى قاعة العرض.

واستمر هذا الحشد أمام باب دار العرض لمعرفة الأخبار عند انتهاء الفريق من أبحاثه بهذا الشأن.. لكن لا أحد يعلم ما الذي حدث هذه الليلة على وجه اليقين.. فقد أجمع الآلاف المتواجدون أمام باب دار العرض على نفس الرواية وهي "أنه بعد

بدء العرض بحوالي ثلاث دقائق سمعوا صرخات مفزعة من داخل دار العرض مصحوبة بأنوار باهرة جدًّا.. حتى إن كل الحشد قد أغمض عينيه من شدة الإضاءة حتى هؤلاء المتواجدون على مسافة بعيدة من دار العرض ثم اختفى الضوء فجأة وساد صمت ثقيل على المكان ولم يجرؤ أحد على الدخول إلى دار العرض إلا بعدما وصلت قوات الشرطة التي فرضت حصارًا شديدًا على المكان وأبعدت المحتشدين تمامًا".. ولمدة ثلاثة أيام متواصلة كان التعتيم على ما حدث هو سيد الموقف.. وكان التصريح الوحيد الذي أدلى به أحد المسئولين من الشرطة خلال هذه الأيام الثلاثة أن "الأمر ما زال في إطار البحث والتقصي عن الحقائق وأن المكان سيظل مغلقًا لحين الوصول إلى نتائج".. وبعد هذه الأيام الثلاثة خرج أحد المسئولين بتصريح مقتضب أشار فيه إلى أن الجهات المعنية تعتبر الأفراد الذين تواجدوا في دار العرض هذه الليلة في عداد المفقودين وأنها ستغلق هذه الدار تمامًا وتمنع الدخول إليها مع مصادرة كل النسخ الخاصة بالفيلم المعروض وقتها ومنعه من العرض وكذلك ستمنع القائمين على هذا الفيلم العجيب من السفر لحين الوصول إلى نتائج نهائية في هذا الشأن.

بعد شهر آخر من هذه الأحداث أغلقت جهات التحقيق هذا الملف وأمرت بهدم دار العرض وإعدام نسخ الفيلم.. وهكذا أصبح الأمر من الأمور الغامضة التي لم تجد لها حلاً أبدًا وإن كنت أعتقد أن هذا الأمر سيخلف من ورائه زوبعة تمتد لزمن بعيد مقبل.

القاهرة في 15 أكتوبر 2030م

عُثر على هذه الأوراق ضمن مذكرات الصحفي المرموق (يوسف إسماعيل) بعد أن أبلغ ذويه عن اختفائه الغامض منذ عدة أيام ولا يزال التحقيق مستمرًا حول واقعة اختفائه.

الصراف

أعمل صرافًا بأحد البنوك.. عمل صعب يتطلب كثيرًا من الصبر وكثيرًا من التفهم لمشكلات العملاء.. أقصى مشكلات عملي هي عميل غاضب أو عجز في العهدة.. لكنها مشكلات يمكن مواجهتها بالصبر والتركيز.. صباح اليوم كانت أمي تناشدني ألا أذهب إلى العمل لأنها لا تشعر بخير بسبب انقباض قلبها.. بالطبع أنا أحترم أمي لكن قلبها غير المطمئن لن يكون مبررًا كافيًا أمام رؤسائي إذا تغيبت عن العمل اليوم.. وعلى الرغم من أنني أحرص

علـى الـبر بهـا وطاعتهـا لكـنني لم أسـتطِع هـذه المـرة وذهبـت إلى العمل.. مضى جزء من اليوم كغيره من الأيام.. من جاء ليـودع مـالاً تحسبًا لتقلبات الزمان.. وآخر جاء ليسحب من مدخراته ربما كـان لجهاز ابنته أو شبكة ابنه.. وهذه جاءت لتسأل عن تحويل زوجـها الذي يحترق بنيران الغربة ملقيًا على كاهلها مسئولية الأطفال.. إن عملي كصراف يجعلـني أرى المجتمـع كلـه.. واليـوم يمـضي حتـى قارب على مِنتصف النهار تقريبًا.. أصوات جلبة مقبلة مـن ناحيـة باب البنك.. الجميع يهرول مذعورًا.. حتى رجـال الأمـن يحـاولون الفرار.. لقد اقتحم ثلاثة لصوص البنك يحاولون سـرقته.. يحملـون بعـض الهـراوات والأسـلحة البيـضاء ويـضربون بهـا مـن يقـف في طريقهم.. عصبيون ومزاجهم حاد ككل شيء في أيامنا هذه.. أخجـل أن أقـول إنـني سـارعت بالاختبـاء كغـيري تحـت مكـتبي.. لكنهـا غريزة البقاء التي تدفعك للحفاظ على حياتـك.. أو هـو الخـوف مـن المواجهـة الذي أصابنا جميعا منذ عقود.. أصوات اللصوص تعلو وهـم يحيطـون بـالجميع ويـأمرونهم بـالتحرك إلى أحـد أركـان المكـان.. يجولون في المكان بسرعة ليجمعـوا رهـائنهم.. صـوت غاضـب يـأمر أحد موظفي البنك بإحضار النقود لهم مـن خزينـة البنـك.. أصـوات

بعض الرهائن يئنون لا بد أنهم آذوا البعض.. أتصبب عرقًا ويقتلني التوتر.. ترى كيف ينتهي هذا الموقف؟ لست راضيًا عن هروبي تحت المكتب.. لكن الجميع حاول الهروب.. تحت مكتبي زر إنذار ككل المكاتب الأخرى.. هل أغامر وأضغطه؟ ماذا لو اكتشفوا أمري؟ هل سيقتلونني انتقاما لهذه الفعلة؟ وماذا لو أنهم رأوني مختبئًا ولو لم أضغط زر الإنذار؟ أعتقد أن المصير واحد في النهاية.. فلماذا لا أحاول إذًا؟ ربما كان هذا هو الحل السليم.. مددت يدي إلى الزر.. تراجعت.. لست أدري ما السبب.. عاودتني الأفكار المرعبة من جديد.. ربما لن يقتلوني بسرعة وعذبوني أولاً بدافع الانتقام.. أو نلت جزاءً أقسى لأكون عبرة للآخرين.. أو قد يجعلون مني درعًا أمامهم إذا حدث تبادل لإطلاق النار.. ماذا أفعل الآن؟ هل أظل قابعًا هكذا تحت مكتبي وأنا أرتعد من الخوف؟ وهل من الشرف أن أموت جبانًا؟ الجبناء يعيشون أطول لكنهم يعيشون أذل.. والشجعان قد يموتون سريعًا لكنهم يموتون شرفاء مرفوعي الهامة والمقام.. تذكرت الآية الكريمة "ألا بذكر الله تطمئن القلوب".. ذكرت الله ورجوته أن يكون معنا.. رجوته من قلبي بصدق.. استعنت به وضغطت الزر.. أثار صوت الإنذار غضبًا هائلاً بين

اللصوص وأخذوا يبحثون في كل مكان عن مطلق الإنذار حتى صاح أحدهم مشيرًا إلى مكاني تحت المكتب.. لم يصبني الاضطراب لكنني لست أدري ماذا أفعل وهم يهرولون نحوي.. نظرت بسرعة إلى مكان آخر قد أحتمي به.. وجدت بجواري طفاية الحريق فلذت بها.. حينما اقترب مني اللصوص تناولت الطفاية وهددتهم بها.. حاول أحدهم أن يختبئ.. ففتحت الغاز في وجوههم.. أصابهم الاختناق بالغاز.. هرول الرهائن محاولين الهرب.. لكن بعضهم تمسك ببقايا من شجاعة وهاجموا اللصوص واستطاعوا السيطرة عليهم وشل حركتهم وتجريدهم من أسلحتهم.. واستعدنا السيطرة على الموقف مرة أخرى.

فيما بعد قال لي الضابط المكلف بالتحقيقات جملة ظلت في ذاكرتي زمنًا طويلاً بعد ذلك.. كانت هذه الجملة هي: حقًا إن رجلاً واحدًا.. رجلاً حقيقيًا.. قد يحدث فرقًا.

ملحوظة: فكرة القصة مستوحاة من واقعة حقيقية حدثت بتايوان.

الشريد

عادة ما ينظر لي الناس في الطريق نظرات لا أحبها..
أحدهم يخاف مني ويتجنبني دون أن أتسبب له في شيء.. أحدهم ينظر لي نظرة شفقة أكرهها ولا أحتاجها.. أحدهم ينظر لي نظرة احتقار ليس لها مبرر سوى أن ظروفه أفضل من ظروفي غالبًا بشكل ليس له دخل فيه.. بعضهم يمر بي وكأنه لا يراني من الأصل وكأنني نكرة ملقاة في قارعة الطريق لا يهتم أحد بها.

لست مخبولاً كما يعتقد البعض ولست مجنونًا.. فقط قررت أن أتوقف عن الكلام مع الآخرين لأنني اكتشفت أنه أصبح غير مجدٍ ولا فائدة ترتجى منه.. فبدأ الناس يتعاملون معي وكأنني أجرمت في حقهم لمجرد أنني استعملت حقي في الصمت.. على الرغم من أن أيًّا منهم لم يحاول مطلقًا مجرد معرفة السبب الذي قررت الصمت لأجله.. لم يحاول أحدهم من قبل أن يكتشف إن كان قراري صائبًا أم لا.. وما إن بدأت الصمت الاختياري حتى بدأ الجميع يعتبرونني وكأنني فقدت عقلي.. على الرغم من أن أكثر المتكلمين يدل كلامهم على انعدام العقل من الأساس.

منذ سنوات مضت كنت شابًّا يمثل نموذجًا لملايين من الشباب الذين يملئون الأرض ضجيجًا وصخبًا بسببٍ مرة ومن دون أسباب مئات المرات.. أنهيت دراستي بشيء من التفوق ودعمت الشهادة الجامعية بدراسات حرة للكمبيوتر وإحدى اللغات الأجنبية لأجد لنفسي مكانًا في سوق العمل.. وأهدرت جهدي فترات ليست قصيرة في عدة مهن لا علاقة لها بدراستي.. لكنني كنت مضطرًّا أن أفعل ذلك لأجد لنفسي مكانًا ملائمًا في الحياة لم أكن متعجلاً كما تتهمنا الأجيال السابقة.. لكن إيقاع الحياة السريع الصاخب أجبرنا جميعًا على الهرولة خلفه.. وإلا دهستنا عجلات الفقر والجهل والتخلف..

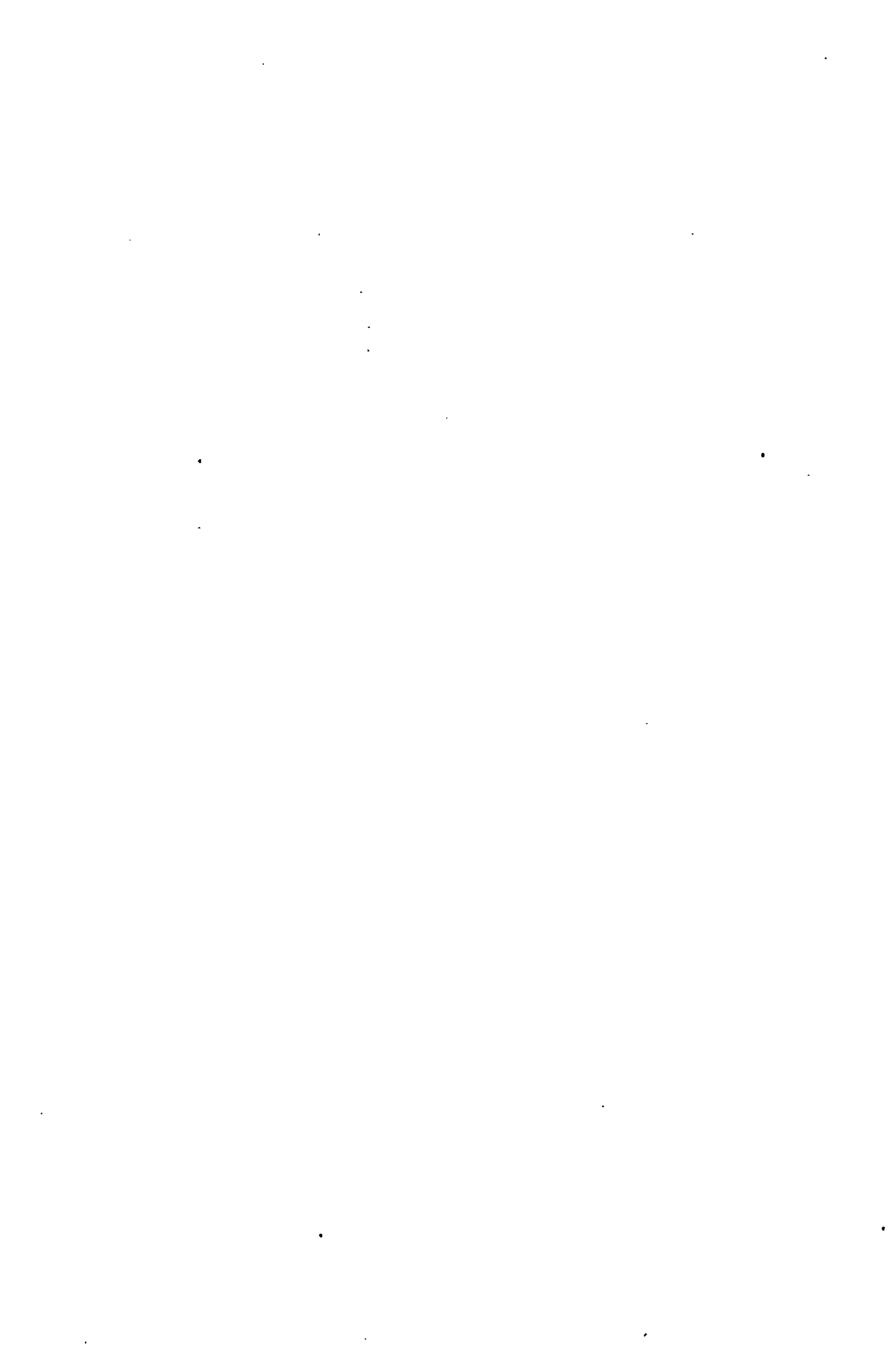
وكانت رحلة البحث عن عمل كريم تصيب مرة وتفشل أخرى بعمل غير ذلك.. وكما هي سنة الحياة بدأت في تكوين أسرة صغيرة ألقيت ببذرة شجرتها في شقة متواضعة بُنيت خصيصًا للشباب ومحدودي الدخل.. لكن طريق الحصول عليها كان متاحًا فقط لمن يتمتعون بالواسطة أو بالمال.. لكن الله يسر لي الطريق إلى هذه الشقة دون أن أدري من أين تجيء نعمته التي لا تُحصى.. لكن لأن الضمير أصبح من الأشياء التي نقرأ عنها في كتب التاريخ فقط ولم يعد له وجود في الحياة الحقيقية فقد انهارت عمارتنا بعد سنتين فقط من بنائها واحتضنت أنقاضها جثمان زوجتي الحبيبة وفي أحشائها جنيني الأول.. لحظتها فقط شعرت أن الكلام لا جدوى منه.. فبعد كل هذه المحاولات المضنية للحصول على مكان كريم في الحياة أجد نفسي في العراء بلا أسرة ولا سكن ولا حتى أوراقي الخاصة من شهادات وإثبات شخصية ولا أي شيء آخر أواجه به الحياة.. حتى عملي لم يحتمل غيابي فقرروا فصلي منه.. وهكذا لم أجد ما يبرر عودتي لساحة القتال مرة أخرى فقررت الصمت.. وكان هذا الصمت هو تهمتي بالجنون.. على الرغم من أن أحدًا في هذه الحياة لم يكن يهتم بي من قبل.. وأصبح لقب الشريد هو لقبي في هذه الحياة.

اللقاء الأول

دقات الساعة تعلن اقتراب الموعد المنتظر منذ زمن بعيد.. اليوم أراها لأول مرة.. كم اشتقت من قبل أن أراها.. أن أسبر أغوارها.. أن أعرف ما تحتويه من مشاعر وتجارب.. كم تمنيت أن أطالع تاريخ الإنسانية الساكن بين جدرانها.. منذ أعلنت الساعة بدقاتها الرشيقة وصوتها المبهج الناعم – الذي كرهته من قبل – وأنا في حالة من النشوة لم أعهدها بنفسي من قبل إلا مرات قلائل.. كنت منذ الليلة الماضية وأنا على أتم استعداد للقاء الأول.. تخيرت

أفضل ملابسي.. تلك البدلة باهظة الثمن التي أحتفظ بها للمناسبات الخاصة.. انتقيت عطرًا هادئًا يتناسب مع هذه اللحظة غير العادية في حياتي والتي لا أدري متى تتكرر.. فلكي أذهب إليها للمرة الأولى كان لا بد أن أسافر من القاهرة – المدينة ذات الأوجه المتعددة كما أراها أنا – إلى مدينة الإسكندرية حتى أتمتع باللقاء الأول.. حرصت أن يكون حذائي في أبهى حالاته وأن تكون لمعته غير مسبوقة إلا لحظة خروجه للحياة من بين أنياب الماكينات للمرة الأولى.. بدأت الرحلة.. كان الطريق من القاهرة إلى الإسكندرية بالنسبة لي كأنه الطريق إلى الجنة.. كأنه الطريق إلى النعيم المقيم.. دقات قلبي تسابق دقات الساعة.. وكان الشوق قد بلغ مداه.. عيناي تحاولان أن تستبقا الطريق.. علهما تريانها قبل الوصول.. تمنيت لو أنني أملك عيني زرقاء اليمامة حتى أراها من بعيد.. وصلت السيارة إلى كورنيش البحر.. وللمرة الأولى لم تخطفني زرقته وأمواجه وأنا العاشق لهما.. فهي عندي أهم الآن وربما في كل المرات المقبلة إذا قدر لي أن أزور الإسكندرية مجددًا.. أمام باب كلية التجارة بجامعة الإسكندرية كان قلبي يقفز من صدري.. فهناك كان اللقاء.. تقدمت إليها وعيناي لا ترجفان حتى لا تضيع من نظري

لحظة واحدة.. رأيت عليها كل حروف الهجـاء في الأرض.. عرفـت كل اللغات أمامها.. تقدمت حتى البـاب.. خطـوت خطـوتي الأولى.. وهكذا طار عقلي ليسكنها إلى الأبد.. كنت مسحورًا.. وكان لا بـد أن أكون كذلك.. فهاهنـا علـوم البـشر وأدبهـم وكـل فكـرهم.. أقـسمت لنفسي إنها لحظة لا بد أن أسجلها في تاريخ حياتي.. إنهـا اللحظـة الأولى التي أزور فيها مكتبة الإسكندرية.



الوظيفة

بثقة شديدة صعد درجات السلم يحمل بين يديه أوراقه وشهاداته.. وعلى الرغم من أنه لم يكن متفوقًا في دراسته فإنه كان واثقًا أنه سينال الوظيفة التي قرأ إعلانها بالجريدة.. ليس بسبب أناقته الزائدة لأن البدلة مستأجرة في الأساس.. وليس للشهادات التي بين يديه.. فهي بتقدير مقبول ليس أكثر.. لكن بسبب آخر هو قطعة صغيرة من الورق يحملها في جيبه مطبوع عليها اسم شخص مهم ومن الخلف كتب عليها بخط اليد توصية صغيرة

وتحية لصاحب الشركة.. لقد كلفه هذا الكارت مجهودًا بسيطًا ليصل إلى هذا الشخص المهم.. لكن هذا المجهود سيغير حياته تمامًا.. فبعد عدة وظائف قليلة الحظ والراتب سينال أخيرًا وظيفة محترمة في المكانة والراتب.. حقيقة ليس هذا هو الراتب القادر على تحقيق أحلامه الكبيرة.. لكنه سيكون خطوة البداية.. وعليه أن يغتنمها.. فهو حتمًا بعد هذه الوظيفة سيخاصم جلسة القهوة وسيبدأ في البحث عن عروس.. وربما طمع أن يجد مسكنًا مستقلاً بالإيجار بدلاً من أن يتزوج في مسكن والده.. دخل من باب الشركة وجلس في انتظار دوره لمقابلة المدير ويقينه بالحصول على هذه الفرصة لا يتزعزع.. بعد دقائق قليلة خرج أحدهم من مكتب المدير.. عرفه على الفور.. إنه زميل دراسة قديم كان من نوعية الذين يطلق عليهم زملاؤهم (الموس) لأنه يذاكر بكل اجتهاد وعزيمة.. لا يعرف لماذا حرص ألا تتقابل عيونهما.

دخل إلى مكتب المدير وقلبه يدق بعنف.. بعد عبارات قليلة اطمأن أن الوظيفة له وأن قرار تعيينه سيصدر بعد أيام قليلة للمحافظة على الشكل العام ليس إلا.

عاد إلى بيته وفي رأسه تطل صورة زميله.. حاول أن يفكر في الوظيفة الجديدة وحياته التي ستتغير بعدها.. لكن صورة زميله عكرت عليه صفو أحلامه.. لماذا يراه الآن في ذهنه؟ لا يجد إجابة.. أو لا يحاول أن يبحث عن إجابة.. لكنه في المساء حينما استعد للنوم وبعد مناورة طويلة مع نفسه تساءل أخيرًا هذا السؤال الذي حاول أن يتفاداه: ألست أسرق هذا الزميل بسبب كارت صغير؟ أكيد هو أجدر مني بهذه الوظيفة.. تاريخه في الكلية يؤكد ذلك.. ربما هو أيضا يحلم أن يخاصم جلسة القهوة ويحلم بالبحث عن عروس ومسكن ملائم؟ أجاب عن سؤاله بـ: نعم.. أنا أسرق هذا الزميل وربما أسرق كذلك آخرين أحق مني بهذه الوظيفة.. لكن ماذا بعد؟ هل أتخلى عن هذه الفرصة من أجل آخر؟

وفي النهاية قرر أن يحصل على حق زميله كي يعيش.. أفضل بالتأكيد من أن يعيده له ويموت.. مرددًا في نفسه المثل الذي اخترعه هو: (لكي تحصل على اللحم يجب أن تذبح بقرة).



الاعترافات

صرخات تتعالى من حولها.. البعض يهرول والبعض يحاول الاقتراب والبعض أصابه الذهول.. ما زالت المُدْية بيدها مخضبة بالدماء.. وجثمانه مسجى أمامها وقد نزف حتى الموت.

* * *

كلماته المعسولة انتزعت قلبي من مكمنه ليصبح أسيرًا لديه.. سلمت مشاعري له بأسرع مما تخيلت أن يحدث.. كانت رقته وحنانه ملاذًا لي من لطمات الحياة القاسية فكان حبه لي

الملجأ الذي أنعم فيه بالراحة.

* * *

نظرت إليها وهي تجلس بالقرب منه ووجهها يشوبه الهدوء.. أمر غريب أن تكون قاتلاً ويرتسم على وجهك كل هذا الهدوء.. عاينت مسرح الجريمة واتخذت الإجراءات المعتادة.

* * *

كان موعد لقائه هو العيد الذي انتظره.. نظراته.. كلماته.. همساته.. كلها كانت الدواء الذي يشفي جروح عمري بأكمله.

* * *

اقتادها الجنود إلى القسم لتعرض أمامي لآخذ أقوالها.. فلم تقاوم.. بل كانت هادئة تمامًا.. نظرت إليّ وهي تسير بينهم وكانت عيناها بلا حياة.

* * *

تزوجنا.. كانت قمة السعادة تحت قدميّ.

* * *

جلست أمامي صامتة وأنا أحاول أن أحصل منها على كلمات أتمم بها أوراقي.

* * *

مر العام الأول على زواجنا فقررت أن أشتري له هدية لأفاجئه بها الليلة.. لمحته يقود سيارته وبجواره امرأة أخرى يتضاحكان وهي تميل على كتفه.. تتبعتهما بسيارة أجرة.

* * *

ظلت مصرة على الصمت وأنا أحاول أن أشرح لها مساوئ ذلك على موقفها بالقضية.. كم هي محيرة وغامضة هذه القاتلة.. لماذا تصر على الصمت؟ لماذا تكتسي ملامحها بالهدوء؟

* * *

توقفت سيارته أمام إحدى الفيلات بحي هادئ على أطراف المدينة.. هبطا معًا وسارا متشابكي الأيدي حتى باب الفيلا.. فتح الباب وتبعها إلى الداخل وهو يبتسم.

* * *

قررت أخيرًا أن تتكلم.. وجلست أستمع إلى كلماتها وكلي شغف لسبر أغوار الحقيقة.

* * *

تسللت داخل أسوار الفيلا.. رأيتهما في الردهة متعانقين.. غامت الدنيا في عيني وهو يقبلها.. شعرت بدوار شديد حينما حملها على ذراعيه وصعد بها السلم الداخلي.

* * *

بدأت الحديث بكلمات غير مفهومة بعد أن احتل البكاء صوتها وملأت الدموع وجهها.. حاولت تهدئتها حتى أفهم ما تقول.

* * *

عدت إلى المنزل في حالة انهيار تام.. حينما سمعت صوت سيارته يقترب هرولت إلى باب العمارة وانتظرت خروجه من السيارة.

* * *

أخيرًا بدأت الحكاية.. وكان كلامها كله بعيدًا عن الجريمة التي ارتكبتها.

* * *

ما إن هبط من السيارة حتى اقتربت منه وأنا أسأله عنها.. أجابني ببرود إنها زوجتي الجديدة وعليك أن تتعايشي مع ذلك.

* * *

كانت تحكي عنه فقط وبدأت الحكاية قائلة:

كلماته المعسولة انتزعت قلبي من مكمنه ليصبح أسيرًا لديه.. سلمت مشاعري له بأسرع مما تخيلت أن يحدث.. كانت رقته وحنانه ملاذًا لي من لطمات الحياة القاسية فكان حبه لي الملجأ الذي أنعم فيه بالراحة.

* * *

أخرجت من بين ملابسي سكين المطبخ وانهالت عليه الطعنات.



امرأة في الملابس السوداء

كعادتي اليومية أنتظر خطيبتي أمام مكان عملها عند موعد انتهاء العمل لتوصيلها إلى المنزل.. حيث نسير يوميًا بمحاذاة شاطئ النيل ونشتري بعض الطعام البسيط لنتناوله معًا ثم أوصلها إلى المنزل وبعدها أعود أنا إلى منزلي.. في رحلتنا اليومية كان هناك دائمًا وفي المكان نفسه علي شاطئ النيل امرأة عجوز دائمًا ترتدي الملابس السوداء.. لم أكن ألحظ وجودها في البداية لأنني حينما أكون

بصحبة شريكة العمر المقبل فأنا دائمًا موجود في مكان ما خارج نطاق هذا الكون.. لكن تكرار رؤيتها في المكان نفسه والموعد نفسه دائمًا بدأ يلفت نظري.. خاصة أنها دائمًا تحمل زهرة حمراء تلقيها في النيل قبل أن تنصرف من مجلسها اليومي.. دائمًا نظراتها حزينة وتشعر فيها بشيء غريب يجعلك تتعاطف معها رغمًا عنك.

مرت أيامنا هانئة نسعى جاهدين أن نكمل ما ينقص بيتنا حتى نتزوج في أقرب وقت.. لكن هذا لم يغير من لقائنا اليومي الذي أسعد به أيما سعادة حتى كان يوم من أيام الصيف معتدل الحرارة وتحيط بنا النسمات المحملة برائحة النيل والزهور النابتة على شاطئه بعد أن جلسنا في مكاننا المعتاد وبدأت خطيبتي في تجهيز الساندويتشات التفتت إلى مكان المرأة المعهود فلم تكن هناك.. أخبرتني بملاحظتها ولم أجدها غريبة.. ربما كانت هناك أسباب منعتها من الحضور اليوم وهذه الأسباب لا يمكن حصرها.. لكن خطيبتي ظلت تناقش الموضوع طويلاً ولا أدري ما السبب الذي دفعها لتبدأ هذه المناقشة عن امرأة لا علاقة لنا بها ولا صلة تربطنا معها.. غير أن السبب الوحيد الذي رأيته هو فضول المرأة لا أكثر.. ومر يومنا المعتاد وعدنا في اليوم التالي وكانت المرأة موجودة.. وما إن

لمحتها خطيبتي حتى هرعت إليها تسلم عليهـا في حمـاس كأنهمـا تعرفان بعضهما جيدًا ولم تتقابلا منذ مدة طويلـة وراحـت تخبرهـا كيف أننا كنا في غاية القلق عليها أمس وتساءلنا عـن سـبب غيابهـا عن مكانها المفضل وكانت المرأة تبتسم في رقة وهي ترد علـى حـرارة السؤال بحرارة مماثلة "يالهؤلاء النساء من يمكنـه أن يفهمهـن؟".. ودعتها خطيبتي لتناول الطعـام معنـا وأصـرت وألحـت حتـى لبَّـت السيدة – في خجل – دعوتنا.. وفي أثناء الطعام بـدأ وحـش الفضول يلتهم عقل خطيبتي فدفعها إلى سؤالها عن سبب غيابهـا بـالأمس.. فردت المرأة والحزن يملأ صوتها ويرسم ملامـح وجههـا أن بـالأمس كان ذكرى وفاة زوجها وأنها ذهبت إلى المقابر لتقرأ له بعـض آيـات القرآن وتدعو له بالرحمـة.. فـشعرت خطيـبتي بـبعض الحـرج مـن جرَّاء سؤالها فصمتت.. لكن السيدة استطردت في الحوار عـن سـبب تواجدها اليومي في هذا المكان تحديدًا وبدأت أستار حياتهـا تنـزاح أمامنا بالتدريج:

"منذ عقود مضت قابلت زوجي هاهنا للمرة الأولى في صـحبة بعض الأقارب والأصدقاء في أثناء تنزهنـا علـى شـاطئ النيـل وتولـد بيننا الإعجاب منذ الوهلة الأولى.. وتحول بعد ذلـك مـع الوقـت إلى

حب عميق صادق توجناه بالزواج بعد أقل من عام.. ودام الحب بيننا طويلاً لم يعكر صفوه شيء أبدًا.. حتى حينما علمنا أننا لن نتمكن من الإنجاب لم تتغير مشاعرنا أبدًا وظلت السعادة ترفرف على حياتنا طوال العمر.. كان زوجي رجلاً حنونًا دائم الرقة معي لم يمضِ يوم بيننا دون أن يمطرني بعبارات الحب ولم يقصر أبدًا في وصف مشاعره الفياضة نحوي.. وكان بين الحين والآخر يهديني زهرة حمراء ونحن نجلس هنا في المكان نفسه.. دائمًا ما ينتهز الفرص ليثبت لي دائمًا كمَّ الحب الذي يحمله بداخله من أجلي.. لا يتناول طعامًا من دوني أبدًا.. لا يأتيه النوم إلا ونحن في السرير نفسه.. لم يعبر يومًا طريقًا ونحن معًا دون أن يتناول يدي في يده بكل رقة ليساعدني على عبور الطريق ويضع نفسه في اتجاه السيارات ليحميني من حماقات بعض السائقين.. معرضًا نفسه هو للخطر الذي يخشى عليَّ منه.. كان زوجًا عظيمًا.. لا يخجل من أن يجهر بحبه لي أمام الناس أيًّا من كان هؤلاء الناس.. نظراته لي كانت دائمًا يملؤها الحب ويغلفها الحنان ويرسلها لي مصحوبة بعبارات الغزل الذي طالما أفتن عقلي وقلبي.. إنه الزوج الذي تحلم به أي امرأة في العالم.. نادرًا ما عكر صفو حبنا أي شيء.. لم ينسَ

يومًا مناسبة تخصنا ودائمًا ما يتذكر أن يهنئني بمرور عام على مولدي أو مرور عام على ذكرى لقائنا الأول.. ودومًا ما يحتفل بذكرى زواجنا.. أشعرني طوال الوقت أنني ما زلت عروسًا في شهر العسل نحيا نشوة الحب.. كنت أهم عنده من أي شيء أو أي شخص.. لم يخُرج اسمي من بين شفتيه يومًا ما إلا مصحوبًا بكلمة حب ونظرة حنان ولمسة عاشق.. هذا هو الزوج الذي لم يمُت في قلبي حتى إن مات جسده في الدنيا.. هذا هو الزوج الذي أعيش حياتي معه وحده حتى بعد أن سبقني إلى الجنة.. هذا هو الزوج الذي عشت معه في حياته وما زلت أعيش معه بعد رحيله.. لهذا أعود كل يوم إلى المكان نفسه الذي قابلته فيه للمرة الأولى".

لم أتمكن أنا وخطيبتي من التعليق لعدة دقائق.. كم هو رجل مبهر في حبه وكم هي سيدة مبهرة في إخلاصها.. كسرت حاجز الصمت قبلة من خطيبتي على رأس هذه السيدة وهي تشكرها شكرًا عميقًا أن منحتنا شرف معرفتها ومعرفة زوجها.



خطاب

عفوًا سيدي..

فلتقبل اعتذاري.. فأنا لا أرضى أن أكون الثانية.. فلقد شاركتك الحلم قبلها.. سكنت قلبك قبلها.. رسمت معك خطى المستقبل قبلها.. تألمت لألمك قبلها.. نزفت من جروحك قبلها.. تبسمت لفرحك قبلها.. تنفست هواءك قبلها.. سرى دمي في شرايينك قبلها.. ثم جاءت هي لتحمل اسمك قبلي.. لتشاركك

تحقيق الحلم قبلي.. لتعيش معك ما تمنيته أنا لك.. جاءت هي لتقصيني من حياتك.. لتحتل قلبك بدلاً مني.. قرنت عمرها بعمرك لتصبح هي الواقع وأتوارى أنا بين ذكرياتك.

عفوًا سيدي..

فمكاني ليس في الظل وحياتي لا أبنيها على أنقاض آخرين.. أرجوك لا تحاول أن تجعلني مجرد حلم مضى تحاول اللحاق به.. لا تسعى ورائي.. فلن أعود إليك.. هي الآن الزوجة والأم وأنا مجرد ذكرى ولست أكثر من حلم.

عفوًا سيدي..

فلقد خرجت من حياتي ولا مكان لشمسك في سمائي.. لا مرفأ لسفينتك في قلبي.. وأغصان مشاعري لم تعد تنبت أزهارك.

* * *

طويت الخطاب والدمع يسيل على خدي.. فلقد انتبهت الآن أنني تركت سكينًا في قلبها ومضيت أستمتع بحياتي دون أن أنتبه لدمائها التي تسيل.. وحين أردت العودة إليها نبهني خطابها أنني أزرع سكينًا آخر في قلب آخر أخلص إليَّ.

صفحات مقطوعة من يومياتي

بعد كل هذه السنوات الطويلة تذكر أنه ألقى بي في يـوم مـن الأيام وأراد العودة ليلتقطني مرة أخرى فأرسلت له اليوم خطابًا فيه ردي على عرضه.. ولست أهتم لرد فعله أو انطباعه.. فهو أحمق ولا يستحق هذا الاهتمام.. إنما فقط أريد أن أسجل هنا في يومياتي ما لم أكتبه في خطابي له.

ما منعني مـن العـودة إليـه (بالإضـافة إلى كبريـائي بـالطبع وشـعوري بالـشفقة علـى زوجتـه وأولاده) هـو في الأسـاس شـعوري

بانعدام الأمان معه وهو شعور قاسٍ للمرأة لا تستطيع احتماله.. أتخيل لو أن الحياة معه أدارت لنا وجهها يومًا ما ولا أجده لأستند عليه.. أجده قد هرب مني وتركني أواجه الصعاب وحدي.. أتخيل شعوري حين أحتاج إليه ولا يكون بجواري لأنه لا يملك الأمان الذي أبحث عنه مع رجلي.. هو ضعيف.. أناني.. لا يفكر إلا فيما يريد هو.. لا يهتم بما يريده من هم حوله.. لكنها أمور يمكن أن تتبدل أو تتغير أو أتعايش معها.. لكنني لا يمكن أن أعيش مع رجل لن يكون سندًا لي في رحلة العمر.. لن يكون الرجل الذي أحتمي فيه وأهرب من الدنيا إلى ذراعيه.. يضمني فأنسى كل خوف أو حزن أو قهر.. ينظر في عيني فأتأكد أن هذه الدنيا لن تقدر على انتزاعي من حياته وأنه موجود ليمدني بالحب والحنان ويمنحني الدفء والأمان.. لا أستطيع أن أنسى أبدًا أنه هرب من قبل عندما واجهتنا المشكلات.

أشعر أن كلماتي مضطربة.. غير مرتبة.. لا تعبر عما أشعر به بدقة.. فمع الأسف منذ أن طلب مني أن يعود إلى حياتي وتفكيري مشوش ورؤيتي للأمور مهزوزة.. لكن قراري محسوم سلفًا ولا رجعة أو تغير فيه.. فأنا لن أعود إليه ولن أسمح له

بالعودة إليَّ مهما حدث.. لكن تفكيري المشوش ورؤيتي المهزوزة للأشياء ليسا بسبب طلب العودة بل بسبب المفاجأة.. فقد شعرت في وقت ما أننا افترقنا إلى الأبد وأن ما بقي بيننا ليس أكثر من ذكريات تقبع في ركن مظلم من الذاكرة ولا يقع عليها ضوء ذاكرتي أبدًا.. لذلك كانت رغبته هذه مفاجأة من النوع الذي يخطف الذهن ويشغل البال ويشل العقل عن التفكير.. وعلى الرغم من ذلك كان هناك جرس إنذار شديد يدق بعنف داخل جنبات فكري.. كان هذا الجرس يصرخ بعبارة واحدة طوال رنينه: (هل تأمنين؟ هل تطمئنين؟).. لقد سرق مني في لحظة غفلة شعوري بالأمان في الحياة.. سرق مني فرحتي.. سرق مني مشاعر وأحاسيس أدركت بعد ذلك أنه لا يستحق أيًّا منها وكان الأولى بها رجلاً آخر يمنحني هذه المشاعر بدلاً من أن يسرقها مني.

إذًا يجب أن تمضي حياتي للأمام ولا تتعطل بسبب أنانيته وحمقه.. يجب أن ألقي خلفي كل شيء يبعدني عن طريقي.. يجب أن أزيحه من ذاكرتي ومن عقلي ومن حياتي.. لن أترك له مدخلاً آخر في عقلي يعود به مرة أخرى.. سأنزع شجيرات الذكرى وأحرقها وأعصف بما تبقى منها حتى تموت الذكريات.



ذكريات للبيع

لدواعي الفقر (محتويات الشقة للبيع)..

لافتة غريبة وجدتها معلقة على إحدى الشرفات.. وعلى الرغم من أنني لا أملك شيئًا من حطام الحياة فإن الفضول دفعني للدخول إلى الشقة لأرى المعروض فيها للبيع.. وربما لم يكن الفضول هو دافعي الحقيقي.. لكن أن أعرف أن هناك من هو أكثر فقرًا مني والذي يعرض محتويات بيته للبيع للهرب من دوامة الفقر الكئيب.

حين دلفت إلى الشقة (وهي شقة صغيرة مكونة من حجرتين وصالة) رأيت رجلاً عجوزًا يجلس في أحد أركان الصالة يقرأ الجريدة.. أي فقير هذا الذي يجد ثمن الجرائد؟ كان أشيب الشعر وقد غاب جزء من شعره عن رأسه.. مجعد الملامح.. يرتدي ملابس عادية.. ابتسم في وجهي وقام من مجلسه.

بادرني قائلاً: "لا بد أنك هنا من أجل اللافتة".. أشرت بنعم.. اتسعت ابتسامته وهو يقول: "عاين ما تشاء في أي غرفة".. استطرد وهو يشير إلى أحد الأبواب: "إلا هذه الغرفة".. سألته: "ولِمَ هذه الغرفة بالذات؟".. أجاب بعدم اكتراث: "لأنها خاوية ولا شيء بها".. قلبت بصري في المكان فوقعت عيني على راديو عتيق جذبني.. لأنني أحب الأشياء القديمة.. اتجهت إليه لأراه عن قرب.. قبل أن أسأله عن أي شيء قال: "عفوًا هذا ليس للبيع".. سألته عن السبب فأجاب بأنه هدية من زوجته الراحلة.. ثم أشار بجوار النافذة إلى كرسيين هزازين وهو يقول: "ولا هذان الكرسيان أيضًا.. فهاهنا كنا نحتسي الشاي معًا".. ثم أكمل مشيرًا إلى ساعة عتيقة معلقة على الحائط: "وهذه أيضًا.. فقد اشتريتها في ذكرى زواجنا الأول".. سألته: "أي الأشياء إذًا معروض للبيع؟".. صمت

قليلاً ثم تنهد وقال في هدوء وهو ينظر إلى محتويات الغرفة:
"أتدري؟ ربما أي من هذه الأشياء لن يصلح مطلقاً للبيع.. فكل جزء من هذا المكان يحمل ذكرى خاصة داخل نفسي لن أحتمل الاستغناء عنه.. يبدو أنني مضطر لرفع اللافتة".. سار بهدوء نحو الشرفة ورفعَ اللافتة ثم عاد إلى الداخل.. نظرت إليه نظرة دهشة فقال ليْ:
"لا تتعجب يا عزيزي.. فسؤالك كشف لي عن أنني لن أستطيع التخلي عن الماضي.. فكل الماضي محمل بذكريات لا غنى عنها.. لا يمكن للمرء أن يبيع ماضيه يا عزيزي".



في محطة القطار

أقف الآن على رصيف محطة القطار.. الساعة تشير إلى دنـو لحظة الرحيل.. لكن.. لماذا أرحل؟ هل هو حلم تحقيق الطمـوح.. أم أنه هروب من أمـر مـا؟ لماذا رفـضت أن تـصحبني في رحلـتي؟ هـل ستأتي لتـودعني؟ بـاقٍ خمـس دقـائق وأسـافر.. كـان خلافـًا يمكـن تجاوزه ولا مبرر لسفري الآن.. تحقيق الطموح ممكـن أن يحـدث في أي مكان.. هي فقط لا تطيق فكرة السفر وتخشى التغيير والمغامرة..

أحلم أن أحقق أفضل أحلامي.. لماذا يجب أن أرتبط بهذا المكان إلى الأبد؟ لماذا لا أجرب حظي في مكان آخر وأحصل على فرصة أخرى؟ هي ترفض أن نبتعد وترفض أن أسافر.. فلماذا أتخلى أنا عن أحلامي وترفض هي أن تتخلى عن مخاوفها؟ باقٍ أربع دقائق.. أتخيلها قادمة من بعيد تهرول نحوي حاملة حقيبتها.. مبتسمة.. عيناها تقولان لي: "لن أتركك وحدك.. لن أحتمل الحياة من دونك.. ولهذا سأحتمل التغيير بجوارك".. نعم.. فبجوارها من الممكن أن أتحمل فشل التجربة.. لكن بعيدًا عنها قد لا أفرح بالنجاح.. صوت الباعة الجائلين وهم يتجادلون على الأسعار مع المسافرين يعلو.. أنظر إلى ساعة المحطة.. كم هي كبيرة.. كم من العيون نظرت إليها من قبل.. ترى من منهم عاد ومن منهم غادر إلى الأبد؟ كم منهم وصل سالمًا؟ وكم منهم لم يصل إلى مبتغاه؟ باقٍ ثلاث دقائق.. كان من الممكن أن نجد حلاً وسطًا لكن العناد سيطر على عقلينا.. هل ستأتي على الأقل لتودعني؟ تقترب نحوي ببطء والحزن يعلو وجهها.. تحمل في يدها باقة من أزهاري المفضلة لأحتفظ بواحدة منها بين طيات كتاب لتذكرني بها فيما بعد.. تطلب مني ألا أنساها.. أن أعود إليها في أقرب وقت لنكمل معًا

رحلة الحياة.. توصيني ألا أنظر لغيرها.. أن أحفظ عهدها.. أن أصونها في قلبي.. باقٍ دقيقتان.. صيحات الوداع تتعالى من حولي بتحرك قطار آخر.. دمعات تذرف.. ضحكات تعلو.. نظرات.. بسمات.. باقٍ دقيقة.. لماذا لا تأتي؟ حتى لو تعاتبني على رحيلي.. على تركي لها.. عيناها تحملان دمعًا لفراقي.. أيهما أفضل لي: أن أسعى وراء حلم.. أم أتمسك بما حصلت عليه فعلاً؟ لو أنها وافقت على السفر معي لكنت الآن في أسعد لحظات حياتي.. صوت يعلن اقتراب القطار من المحطة.. تعلو صيحات الحمالين وهم يجولون بين المسافرين لحمل حقائبهم.. كان من الممكن أن أقنعها.. أو أبقى معها.. من دونها اللحظات لا قيمة لها.. الحياة من دونها ستكون بلا قيمة.. نعم أنا أحبها جدًا.. لكن أحلامي!! صوت صافرة القطار يعلن وصوله إلى رصيف المحطة.. يبدأ المسافرون في الركوب.. والقادمون في النزول.. عبارات الوداع.. عبارات الترحيب.. أحضان اللقاء بعد الغياب الطويل.. سلام الوداع.. ولا أحد يدري إن كان الوداع الأخير أم أن اللقاء قريب.. حمال يسألني هل يحمل حقائبي.. أثق أنها قادمة.. ربما كانت الآن أمام المحطة مترددة في المجيء.. ألا أحظى بفرصة رؤيتها قبل الرحيل؟ ألا نحظى معًا

بلحظـة خاصـة؟ صـوت الحمـال يعيـد سـؤاله.. ضـجيج المـسافرين والمـودعين يمـلأ أذنـيّ.. لكـن همـساتها تأخـذني مـنهم.. عيناهـا تسحرانني بعيدًا عما حولي.. صوت الحمال يلاحقـني: "يـا أسـتاذ القطار من هذا الاتجاه.. حقائبك يا سيدي!".. وجدتها أمام محطـة القطـار.. كانـت تحمـل باقـة الزهـور.. وفي اليـد الأخـرى حملـت تذكرتين للقطار التالي.

لا شيء

لست من هؤلاء الذين يستطيعون لكْم الحياة في وجهها فتستجيب لهم وتحقق مطالبهم.. بل على العكس.. فدائمًا ما أستجدي من الآخرين حقوقي وألين تماما أمام رغباتهم حتى لو كان ذلك يظلمني.. لست أدري لماذا أخشى المواجهات وأخاف حينما أتكلم مع الغرباء وأقف صامتًا إذا خاطبني أحدهم بصوت عالٍ على الرغم من أن الغضب يتملكني بشدة حتى أقطر عرقًا وأنتفض من

الغضب.. لكن النتيجة دائمًا تكون لا شيء.

لا شيء.. هي الكلمة التي تصاحبني في حياتي.. فلا شيء تحقق من أحلامي.. ولا شيء من حقوقي بقي لديَّ.. ولا شيء من رغبات أصرح بها حتى أصبحت (السيد لا شيء).. ربما الشيء الوحيد الموجود في حياتي هو الرغبة العارمة في تغيير هذا الوضع.. لكن "لا شيء" تظهر من جديد فتحطم كل سعي أتخذه لتحقيق هذه الرغبة.

هذا الصباح كلفني السيد المدير بأعمال زميل لنا سيقوم بإجازة المصيف الأسبوع المقبل.. على الرغم من أنني الفرد الوحيد بالمكتب المحمل بأعباء كبيرة في العمل.. أما باقي الزملاء فيجيدون التذمر والشكوى من كثرة العمل الذي لم يكلفوا به من الأساس ولم ينجزوه قط.. فتكون النهاية أن ينقل السيد المدير هذه الأعمال إلى عاتقي وكأنني خادم أهل هذا المكتب.. ومن جديد يتملكني الغضب الشديد من قرار سيادته.. وألمح نظرات السخرية في عيون الآخرين.. مما يعني أن القرار قد تم تعديله قبل أن أصل إلى العمل هذا الصباح.. كانت الرغبة الخانقة في الاعتراض أو حتى التذمر تتملكني وشبح لا شيء يلوح في أفق حياتي من جديد.. بعد قليل

كان السيد المدير يقوم بالمرور اليومي على المكاتب للاطمئنان على سير العمل حتى مر بمكتبي.. كنت لحظتها ألتقط قلمي من تحت المكتب (هو أيضًا رعديد وجبان ليختفي تحت المكتب؟).. سمعت كلمات المدير الساخرة المؤنبة تنهال على أذني لأنني مهمل ولم أنجز بعض الأعمال إلى الآن.. اعتدلت ووقفت أمامه.. كان يصيح بشدة.. كنت أرتعش حقًّا من صوته العالي.. وأشعر بدوار شديد يلف رأسي.. كنت أتمنى أن يذهب ويصمت.. لكنه لم يفعل.. وفجأة رأيت على وجهه كلمة لا شيء وكأنها تهزأ بي.. فأنا مجددًا لن أفعل شيئًا.

قال الزملاء فيما بعد في أثناء تحقيقات الشرطة إنني فجرت أنف هذا المدير التافه بعدة لكمات وإن من تدخل منهم للدفاع عنه تورم وجهه من اللكمات وفقد عدة أسنان.. وأكدت التقارير الطبية أن عظام الجمجمة الأمامية لهذا المدير التافه كانت محطمة كما لو أن قطارًا قد صدمه وشهد الشهود أنني كنت أصيح بعد ذلك في ممرات الشركة أن (لا شيء) مضت ولن تعود.



وطلبت الرحيل!

تحاشت النظر إليه وهي تبكي.. فهي حتمًا تعلم أن قطرات دموعها التي تتسابق على خديها الورديين ما هي إلا قطرات سم تقتله بقسوة كلما انهمرت.. ما هي إلا قطرات لهب تحرق عينيه كلما رآها.

تحاشت النظر إليه وهي تتهمه بالتخلي عنها وعدم الاهتمام بها.. وهي التي كانت في الليلة السابقة فقط تشكره أن

منحها كل حياته لتحياها وكل قلبه لتسكنه.. وكل عمره لتعيش فيه.

تحاشت النظر إليه وهي تطلب منه الفراق.. فهي حتمًا تعلم أن كلماتها ليست إلا حكمًا بالإعدام عليه.. حكمًا قاسيًا.. مجرد النطق به أو التفكير فيه قادر على إلقائه إلى قاع الجحيم حتى لو حصل على البراءة إذا استأنف الحكم.

تحاشت النظر إليه لأسباب عدَّة.. وهي لا تدرك أن مجرد ابتعاد عينيها عنه هو لحظات عذابه الأعنف منذ وُلد.. نعم هي لا تدرك أي جرح جرحته له حينما أرادت البعد عنه.. هي حتمًا لا تعي إلى أي سبل الهلاك أرسلته.

تحاشت النظر إليه.. فأخذ يبحث عن مسكنه في عينيها.. أخذته الظنون وعصفت به الأسئلة.. هل سترحل فعلاً؟ وهل تحتمل هذا الفراق؟

كان يدرك من قبلُ أن الفراق عذاب مشترك وأن أيًّا منهما لن يحتمله.. لكن بكلماتها هذه غامت الصور في عينيه.. أخذ يفتش عن قلبه الذي احتضنته.. لكن الدروب أبت أن تصل به إلى مبتغاه.

توقف لحظات.. أخذ يرهف السمع ويجلي البصر ويفكر بروِيَّة حتى عرف الحل الأمثل.. أخرج قلبها من صدره.. قبَّله بحنان.. احتضنه.. شعر بنبضاته تهفو إليه.. تنادي عليه.. تعشقه.. أعاد قلبها إلى صدره وعلم أنه سيرشده إليها.

على الهامش:

عفوًا سيدتي..

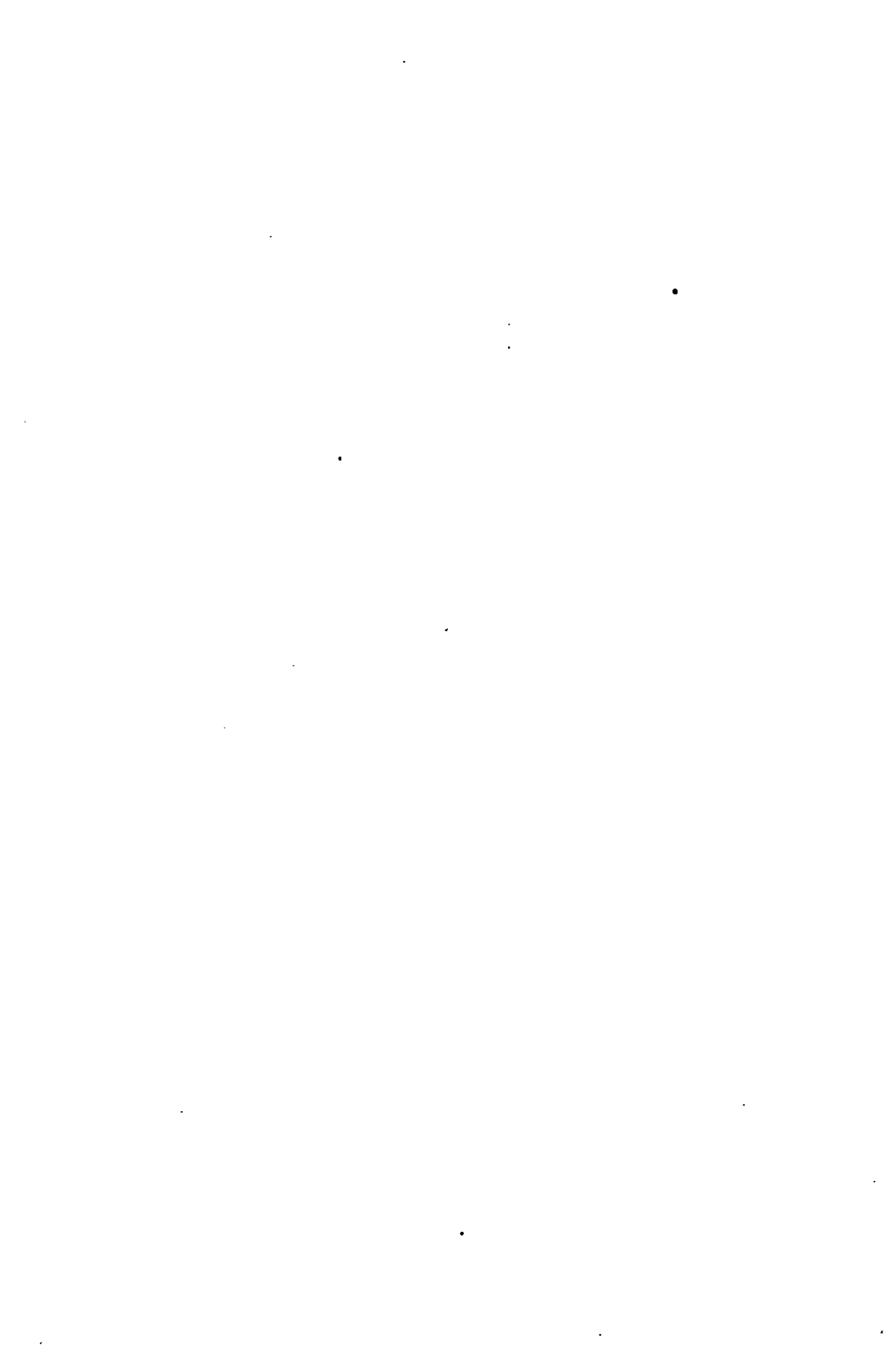
غير مسموح لك بالرحيل..

فلسوف يجمعنا الله معًا..

بإذنه عمرًا طويلاً..

وأنا لن أغادر مطلقًا..

إلا إذا زارني عزرائيل..



الخطأ الأخير

كان مواء القطط في الشارع وصوت تساقط الأمطار هو الصوت الوحيد الذي يصل إلى مسامعي في هذا الوقت من الليل لا يقطعه إلا صوت سيارة تمر مسرعة من حين إلى آخر أو صوت نباح كلب يبحث عن طعام أو ينشد الدفء أو يطارد إحدى القطط.. برد الطريق ينخر عظامي ويلتهم عمري.. قطرات الأمطار كأنها مطارق ثقيلة على رأسي.. الوحدة شيء قاتل.. تسلب روح الإنسان ووهجه..

شريدًا ملقى على جنبات الطريق بلا قيمة.. وبلا حياة.. لم تكن حياتي تعرف هذا المعنى من قبلُ.. بل كانت حياتي مليئة ضجيجًا وصخبًا طوال الوقت.. كثير من الأصدقاء.. أسرة لا تعرف سوى الحب والسعادة.. عمل ناجح ومستقر.. ولأن طريق حياة الإنسان كثير المنعطفات فقد قابلت في حياتي عددًا منها كان يغير من حياتي بدرجة ما لكن هناك منعطفًا واحدًا أصاب حياتي بتغيير قتل روحي وسلب مني رغبتي في الحياة.

امرأة.. لكن ليست أي امرأة.. فهذه المرأة أرادت أن تتعدى علاقتنا الحدود المألوفة وأن تحتل في حياتي مكانة لم تكن لها.. ظلت تحاصرني بنظراتها وكلماتها ورغبتها المشتعلة دائمًا.. كنت أتحصن منها بحبي لزوجتي.. لكن دأبها واستمرار ضغطها لوقت ليس بالقصير بدأ يضعف من مقاومتي.. وبالتدريج بدأ تهربي منها يقل.. ويقل.. وينعدم.. كانت لا تعرف اليأس وتتمسك بما ترغب فيه.. وفي النهاية استسلمت لمطاردتها.. لكنني استعنت بالحذر قدر الإمكان.. أدركت فيما بعد أنه ما إن تبدأ التنازل فلن يجدي معك الحذر أو الاحتياط.. كانت علاقتنا في البداية مجرد مقابلات عادية في أماكن عامة.. لكنها كانت بداية الخطأ.. فبعد مدة قليلة

تحولت إلى لقاءات عادية في شقتها ثم إلى خيانة قصوى لـزوجتي.. ذات يوم سافرت زوجتي لزيـارة أهلـها في مدينـة أخـرى ومنعـتني ظـروف العمـل مـن مـصاحبتها.. فاسـتغلت الأخـرى هـذه الفرصـة وجـاءت إلى منزلـي وقـضت معـي يـومين.. عاشـت فيهمـا كأنهـا زوجتي.. وفي غير موعد عودتها عادت زوجتي.: وحينما دخلـت إلى شقتنا.. المكان الذي نبتت فيـه بـذور حبنـا.. الـذي احتـضن أحـلام المـستقبل وتحقيقهـا.. الـذي شـهد لحظـات سـعادتنا ونجاحنـا.. وجدتني في أحـضان امـرأة أخـرى.. في غرفتهـا.. وعلـى سـريرها.. وجدت امرأة أخرى تحتل مكانها وتسرق مكانتها.. وجـدت طعنـة في كرامتها كزوجـة وحبيبـة.. الجميـع أصـيب بالـذهول وألجمتنـا المفاجأة.. الجميع لم يجد شيئًا يقال.. الجميع تسمر في مكانه.. كان كل منا ينظر للآخر نظرة مختلفة.. كانت تراني خائنًا.. خنـت كـل الحب الذي بيننا.. كانت ترى نفسها ضحية لرجل كاذب ومخادع.. وكنت أراني وضيعًا.. وأراها جنة طردتني خطيئتي منهـا.. وكانـت التفاحة المحرمة ما زالت في سريري.. دقيقة كاملة كان الصمت هو السيد.. دقيقـة اشـتعلت فيهـا مـشاعر القهـر.. الظلـم.. الخـوف.. الندم.. ثم سقطت زوجتي مغشيًا عليهـا.. كانـت تلـك هـي اللحظـة

التي قلبت السكون إلى حركة.. فبعد سقوط زوجتي هرولت أنا لأطمئن عليها وهرولت خطيئتي تلملم ملابسها وتلوذ بالفرار.. حينما انحنيت على زوجتي محاولاً إنعاشها اكتشفت أن تنفسها قد توقف وأن جسدها قد فارقته الحياة.. كانت صدمتها كبيرة حتى إنها لم تحتمل الحياة بعدها سوى دقيقة واحدة فقط.. وكانت كذلك هي الدقيقة الأخيرة في حياتي أيضًا.. فقد مت وأنا حي.. فمنذ هذه اللحظة وأنا كالموتى ولست كالأحياء.. مجرد شريد ملقى في الطريق يتمنى أن يحيا إلى الأبد في هذا العذاب ليكون عذابه ندمًا على ما فعل.

رجل الأحلام

المكان: ميدان رمسيس.

الزمان: منتصف الـ... (عفوًا ليس منتصف الليل كما توقعتم.. بل هو منتصف النهار).. الزحام يفوق الوصف وكأن كل المصريين يسيرون الآن في هذا الميدان.. ليس من عاداتي مطالعة وجوه السائرين.. لأنها غالبًا تحمل انطباعًا عامًا واحدًا مع قليل من الاستثناءات.. لكن وجهه هو جذبني إليه.. حوالي عشرة أمتار

تفصلني عنه.. يسير في الاتجاه المضاد.. لذا كان من السهل أن أرى وجهه.

غريب هو هذا الوجه.. لا يحمل انطباعًا ما أو لونًا محددًا.. كما لو أنه منحوت من صخر يسير بسرعة وثقة شديدة.. لا يحيد في خطواته.. إنما يفسح الآخرون الطريق أمامه ولا أدري ما السبب.. لا ينظر لشيء محدد بل يسير كالضرير الذي يحفظ الطريق.. لكنه ليس كذلك بل هو مبصر حتمًا.. تقلصت المسافة بيننا.. منظره غريب حقًّا يبعث على الفضول.. فهو طويل القامة بعض الشيء.. نحيل إلى حدٍّ ما يرتدي معطفًا طويلاً شديد البياض وكذلك شعره وحتى رموش عينيه وحواجبه.. إن كل شيء فيه أبيض تمامًا حتى الحذاء.. أمر غريب جدًا.

انتبهت الآن أننا نسير على خط واحد وأن المسافة بيننا تتقلص باستمرار وسرعة ولا أدري ما السبب في شعور التحدي الذي أصابني؛ إذ قررت ألا أحيد عن الطريق كما فعل كل المارين به.. بل سألزم طريقي وليحيد هو عنه إن أراد وإلا فليصطدم بي ولنرَ ماذا سيحدث.. استمر بالاقتراب وأخذني عنادي إلى أقصى مدى وقبل متر واحد من وصولنا إلى النقطة نفسها.. نظر إليَّ.. إلى عينيَّ

مباشرة.. حيرتني نظراته جدًّا فلا تشعر في عينيه بأي حياة.. لكنها تثير رهبة ما في أوصالي.. أشعر بها تخترق عقلي وتقرأ أفكاري.. نظرات رهيبة لا يستطيع المرء أن يتحملها طويلاً.. لكنني لن أتنازل عن موقفي وطريقي وليذهب هو إلى الجحيم إذا أراد.. لم تبقَ إلا سنتيمترات قليلة ونصطدم حتمًا ما دام كل منا مصممًا على موقفه.. خطوة واحدة وينتهي الأمر لكنني لن أفسح له الطريق مهما كان.

استيقظت فزعًا.. نظرت حولي أبحث عنه فلم أجد إلا غرفتي و.. فقط.

اللعنة.. إن هذا الحلم يرفض أن يفارقني منذ عدة ليالٍ.. يتكرر بكل وضوح.. التفاصيل نفسها.. المكان والزمان نفسهما.. كل شيء كما هو.. تكرار عنيد كما لو أنني أشاهد فيلم سينما يعاد للمرة الألف.. اتجهت حانقًا إلى الحمام لأستعد للذهاب إلى عملي وأنا أحمل بداخلي غضبًا هادرًا من هذا الحلم اللعين.. فأنا لا أمر على ميدان رمسيس هذا إلا من تحته.. أعني في قطار الأنفاق وحسب.. ولا أسير أبدًا فوق الأرض في هذا الميدان.. فلماذا يصر عقلي الأحمق هذا على رؤية الميدان في حلمي؟ كنت أفضل أن يكون

مكانًا آخر دون أن أعي السبب في حنقي على مكان الحلم دون حنقي على تفاصيله الأخرى.. فأنا أكره الزحام.. أكره الضوضاء.. أكره هذا الـ... كلا أنا لا أكره هذا الرجل.. إنه فقط يثير في داخلي الرغبة في التحدي.. وبعض الفضول.. ترى لماذا هذه المشاعر؟

* * *

المكان: الشارع المؤدي إلى منزلي.

الزمان: منتصف الـ... الليل (نعم منتصف الليل هذه المرة)

عائدًا إلى منزلي.

الشارع خالٍ تمامًا إلا من قطة بائسة تبحث عن طعام لن تجده أبدًا.. فسكان هذا الحي لا يلقون ببقايا طعامهم إلى القمامة لأنهم ببساطة لا يجدون الطعام الكافي لهم (لكن هذا الأمر لا يهم).. الليل.. الضوء الخافت المقبل من بعيد.. بقايا أمطار أمس.. الصمت التام إلا من مواء القطة الجائعة.. جو مثالي لأفلام الرعب وجرائم الأحياء الفقيرة.. صوت خطوات تأتي من بعيد.. تسير في الاتجاه المقابل.. رجل طويل القامة بعض الشيء نحيل إلى حد ما يرتدي معطفًا طويلاً شديد البياض وكذلك شعره وحتى رموش عينيه

وحواجبه.. إن كل شيء فيه أبيض تمامًا حتى الحذاء.. ماذا؟ إنه رجل الحلم.. لا شك أنه هو.. لا شك.. شعرت برغبة في إسراع الخطى إلى منزلي.. خوف شديد ينتابني الآن.. تبخرت روح التحدي التي تصيبني حينما أواجهه في الحلم.. بقيت فقط غريزة الخوف.. هل أهرب منه فعلاً؟ شيء ما جعلني لا أفعل.. شبح ابتسامة تراقص على شفتيه واختفى سريعًا.. نظر إليَّ نظرته تلك.. فزعت.. سمعته يضحك.. قال لي من بين ضحكاته: "ما بك؟ هل أنا مخيف إلى هذا الحد؟".. ألجمت المفاجأة لساني فلم أرد.. تسمرت في مكاني.. وقع خطواته وحده يقترب.. كيف رأيت ابتسامته في هذا الظلام؟ كيف عرف أنني أخافه؟ يقترب.. ما زلت واقفًا في مكاني.. يقترب.. تتسارع دقات قلبي بشدة.. يقترب.. حان وقت الاصطدام.. هل أصحو مجددًا.. ليس هذه المرة.. تلاشى.. ماذا؟ تلاشى.. هكذا بكل بساطة؟ كأنه لم يكن هناك منذ برهة.. تسارعت نظراتي تمسح الشارع.. لا شيء.. لا بد أنه حلم آخر.. متى أستيقظ؟ لكنه ليس حلمًا هذه المرة.. إنه حقيقة.. تسارعت خطاي إلى المنزل حتى بلغته أخيرًا.. لا أدري لماذا بدا لي بعيدًا جدًّا هذه المرة.. دلفت إلى الشقة مهنئًا نفسي على سلامة الوصول.. وقع

خطوات على السلم.. أصابني الرعب.. هل لحق بي؟ لا.. لا أعتقد ذلك.. الخطوات تقترب.. هل سيطرق الباب.. أم أنه سينفذ من خلاله؟ و...

اللعنة على هذا الحلم السمج الذي يرفض مفارقتي.. لكن الغريب في الأمر أن تفاصيله تغيرت هذه المرة.. إن هذا الحلم يدفعني إلى الجنون حتمًا. كيف سيأتي المرة المقبلة؟ وبأي تفاصيل؟ أمر محير.. هل أزور طبيبًا نفسيًا؟ لا وقت لديَّ لهذا.. أحاول نسيان الأمر من دون جدوى.. آه لو أسبر أغوار هذا الحلم.. ما زالت الساعة الثالثة فجرًا سأعود إلى نومي وسأحاول نسيان هذا الحلم الغريب.

طرقات خفيفة على الباب انتزعتني من سريري.. من هذا الأحمق الذي يأتي إليَّ في هذا الوقت؟ اقتربت من الباب لأفتحه.. تراجعت.. ماذا لو كان رجل الأحلام.. ناديت من خلف الباب: "من؟".. أتاني صوت هادئ يطلب مني أن أفتح الباب.. لم أميز الصوت فكررت: "من؟".. وكرر إجابته.. هل هو رجل الأحلام أم شخص آخر؟ أصررت هذه المرة أن يقول اسمه هذا الواقف خلف

الباب.. فأجاب بكل هدوء: "رجل الأحلام".. من؟ رجل الأحـلام.. أهـو حقيقـة أم سأصـحو هـذه المـرة أيـضًا مفزوعًـا كالمعتـاد؟ كـررت السؤال لأتأكد وكرر الإجابة ليزيدني فزعًا.. عفوًا لن أفـتح.. هكـذا أجبـت وروح العنـاد تعـود إلـيَّ.. رد في هـدوء: "أريـد أن أحادثـك قليلاً.. فأنت لا تمنحني هذه الفرصة في الحلم أبدًا دائمًا تخـافني أو تتحداني على الرغم مـن أنـني أحمـل لـك الخـير".. تـرددت قلـيلاً لكنني فتحت الباب أخيرًا.. هو كما يبدو في أحلامـي بكـل تفـصيلة فيه.. حتى نظرة عينيه الخالية من أي تعبير التي تثير رعـبي كمـا تثير بداخلي روح التحدي.. جلس دون أن أطلـب منـه ذلـك.. فـتح أزرار معطفه وهو يسألني في برود: "لماذا تخشاني إلى هذا الحد؟ أنا لست الرجل الذي يثير ذعر الآخرين".. أجبته في برود مماثـل وقـد نسيت خوفي: "وما الذي تثيره في الناس إذًا؟"..

أنت لا تعرف الكثير عـني.. لقـد أتيـت إليـك لأعقـد معـك اتفاقًا مفيدًا جدًّا لكل منا.. قالها وهو يبتسم ابتسامة باهتة.

تبادر إلى ذهني كل مـا كتـب في قـصص الرعـب عـن الاتفـاق الذي يعقده الشيطان مع ضحاياه قبل أن يوقع بهم في شركه فوجدت

نفسي أصرخ: "لا".

ابتسم ثم انحنى قليلاً إلى الأمام وهو يقول: "هل تعرف من أنا"؟

أمر لا يهم ولتخرج الآن من بيتي.. كانت كلماتي تلك حادة.. غاضبة.

نهض ثم سار في اتجاه الباب وقبل أن يفتحه التفت إليّ وقال: "نلتقي إذًا في حلمك التالي".. وجدتني أصرخ قائلاً: "أرجوك".. وصمت.. عاود الجلوس على المقعد نفسه وهو يقول: "اسمعني إذًا ولا تهدر الوقت هباء.. لقد جئت إليك محذرًا.. ستقتلك يومًا أحلامك".. لم أرد فأكمل: "هل تعرف شيئًا عن عالم الأحلام؟".. أشرت برأسي أن "لا".. فاستطرد: "إنه عالم غريب لم يفهمه البشر كما ينبغي.. إن كل ما يدور هناك يؤثر حتمًا على عالمكم هنا.. إذا رأيتني يومًا ما في حلمك ثانية فاعلم أنك في خطر محدق.. خطر قد يلتهم حياتك نفسها.. فنحن نسيطر على عالم الأحلام هذا وهناك من يريد إلحاق الأذى بك.. ولست إلا نذيرًا.. احترس".. ألقى بكلماته وانصرف في هدوء.. لم أفهم حرفًا مما

قال.. لكن دهشتي لم تفارقني بعد.. لم أستطع العودة إلى النوم هذه الليلة.. بل لثلاث ليالٍ تالية.. لم يغمض لي جفن.. ولم أخرج من غرفتي كذلك.. كل الوساوس الشريرة وجدت طريقًا سهلاً إلى عقلي.. كل الأشياء المخيفة قفزت إلى ذهني.. أخاف أن أنام حتى.. لا أدري ماذا أفعل؟ رنين هاتفي المزعج ينتزعني من أفكاري.. ألو.. أنا رجل الأحلام.. لم أتمكن من الرد.. هل تسمعني أم أين تراك ذهبت؟ نعم أنا هنا.. لماذا لم تنم منذ ثلاث ليالٍ؟ هناك ما أردت أن أقوله لك.. ما هو؟ لا تخرج اليوم من منزلك ستدهسك سيارة مسرعة.. أغلق الهاتف.. دائما ما يحرمني فرصة الاستفهام.. عاودتني روح التحدي من جديد.. لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل.. وليس هذا الأحمق.. سأخرج إلى الشارع وسأعبر الطريق وحينما أعود إلى منزلي سليمًا سأنام بعمق ولن أراه ثانية في أحلامي وإن عاد سأقتله.

* * *

المكان: أحد شوارع القاهرة المزدحمة.

الزمان: منتصف الـ... (منتصف الظهيرة هذه المرة).

أسير بخطى واثقة على الرغم من سوء حالتي من قلـة النـوم وقلة الأكل.. رائحة رائعة تتسلل إلى أنفي.. نعم هي رائحـة اللحـم المشوي.. إذا كانت الرائحة هكـذا رائعـة فكيـف هـو الطعـم؟ إنـني جوعـان بـشدة.. سـأذهب لآكـل في هـذا المطعـم.. أيـن هـو؟ تتبعـت الرائحة.. آه إنـه هنـاك في الناحيـة الأخـرى مـن الطريـق.. عـبرت الطريق إلى المطعم و... صـوت صـرير عجـلات سيارة مـزعج حقًـا.. أصوات أناس ترتفـع: "احـترس".. آلام مبرحـة في كـل جـسدي ثـم صمت مطبق.

أرقد الآن في مستشفى لعلاج الأمراض النفسية والعصبية من مرض الهلاوس الـسمعية والبـصرية.. وقـد قـال الأطبـاء إن حـالتي كانت متدهورة جدًّا حينما أبلـغ الجـيران عـن حـالتي.. أشـعر الآن ببعض التحسن.. خاصة وقد توقفت زيارات رجل الأحلام.

الصفعة

نظراته الوقحة إلى تفاصيل جسدها تؤلم روحها وتهين كرامتها.. تشعرها أنها مجرد جارية في سوق الرقيق تنتظر قرار السيد إن كان يرغب في شرائها أم لا.. إن كانت ترضي رغباته أم لا.. تتوقع أن يمد يده يتحسسها مثلما كان يفعل المشترون في أسواق الرقيق في تلك العصور الغابرة ليتأكد من جودة البضاعة التي يرغب في شرائها.. ليس لمجرد أنه تقدم لشرائها (أو تأدبًا تقدم

لخطبتها) أن يكون له الحق في هذه النظرات الوقحة.. ما زالت ذاكرتها تتمسك بموقف حدث لها في المترو وتأبى أن تنساه.. نفس النظرات المقتحمة لأسرار جسدها.. نفس النظرة النهمة التي توحي بجوع جنسي ولا توحي مطلقًا بالاحترام أو الإعجاب.. هي في نظرهما مجرد جسد مناسب لإفراغ الشهوة المؤقتة في داخله.. نظراته لا توحي بأنه جاء ليختار إنسانًا يشاركه الحياة المقبلة.. بل جاء ليختار جسدًا يشاركه الفراش الخاوي.. الذي ربما دنسه من قبل بعرق العاهرات ما دام لا يجد في المرأة سوى جسد يقضي فيه حاجته ثم يلقيه مغادرًا إلى جسد آخر.. كانت تتمنى أن تصفع راكب المترو على عينيه اللتين تنتهكانها.. أن تصرخ في وجهه.. إنها إنسان.. يشعر.. يرغب.. يتألم.. يرفض.. يفكر.. يختار.. وأن تكون صرختها في وجه كل هؤلاء العابثين الذين لا يرون في المرأة سوى جزء من جسدها.. لكن تأدبها وخجلها ونظرة المجتمع الأحمق الذي حتما سيحملها المسئولية على الرغم من أنها محتشمة وتمشي في أدب وتتكلم في وقار ولا توحي أبدًا بدعوة الرجال إلى انتهاك حرمتها.. ذلك كله جعلها تتراجع.. يمد يده ليتناول قطعة من طبق الفاكهة الموضوع أمامه.. يلتهمها بعينيه كما يلتهم الآن

الفاكهة المسكينة التي حكم قدرها أن ترقد في معدة هذا الرجل.. يعتصرها في أمعائه ثم يلقي بقاياها بقرف وهو يستخدم دورة المياه.. يبتسم لها ابتسامة ذات مغزى.. نفس ابتسامة راكب المترو التي توحي بالخطر ولا تبث الأمان.. والتي تخبرها أن الرغبة فقط هي المحرك ولا تهم المشاعر والاحترام والأحاسيس.. أن بوصلته هي الفراغ الجنسي وليس الفراغ العاطفي.. أن مراده هو الجسد وليس الروح.. استأذن والدها ليتركهما من أجل حديث التعارف.. كانت تتمنى ألا يفعل وأن يبقى بجوارها ليحميها من هذا الوقح.. كان يتحدث بلا انقطاع.. لم تنتبه لحديثه فقد كان ذهنها مشغولاً بكيفية الهروب منه.. خاصة بعدما انتقل من المقعد المواجه لها إلى المقعد المجاور.. شعرت برغبة في الانكماش داخل مقعدها.. حاول أن يلمس يدها ليضع بين أصابعها رقم هاتفه.. لكن اهتزازات المترو أنجتها من المحاولة فكان رد فعلها أن غادرت إلى الرصيف وهي تحاول الفرار وتشعر بنظراته تخترق ظهرها.. لكن هذه المرة لا يوجد ما ينقذها من هذه اللمسة المقززة لها.. سحبت يدها في سرعة.. ابتسم وهو يظنها تخجل منه.. ونظر لها نظرة أخرى.. شعرت بها كأنها نظرة الذئب الذي يسعد بمقاومة ضحاياه لأنها

تمنح طعامه نكهة أجمل لأن النصر يصبح له قيمة أكبر كلما كانت مقاومة الضحية أشرس.. مد يده مرة أخرى ليمسك أناملها.. لكن هذه المرة تمسكت بشدة بفلول شجاعتها الهاربة لتلقي على وجهه الصفعة التي تمنت أن تكون على وجوه كل الرجال الذين لا يحترمون عقل المرأة أو شعورها ولكن يرغبون في جسدها لمجرد أنه جسد أنثى.

أيهما أنا؟

إنها أجمل فتاة في الحفل.. لا أستطيع رفع نظراتي عنها.. كنت أشعر برشاقة نبضات قلبها.. أشم رائحة الحيوية تجري في عروقها.. لا بد أن تكون لي الليلة.. لا بد أنها امرأة شهية.. اقتربت منها بكل ثقة راسمًا تلك البسمة الساحرة التي أتميز بها والتي تسقط أمامها كل النساء.. موجهًا إليها تلك النظرة التي تسر إليها بما أنتوي فعله.. عرفت التردد على وجهها.. أعشق هؤلاء

النسوة المترددات.. فمقاومتهن لي ضعيفة أو تكاد تكـون معدومـة.. كلمات قليلة تحدثت بها إليها وبدأت ابتـسامات الإعجـاب ترتـسم على وجهها.. وسار الحديث بيننا كما أردت تمامًا.. كنـت أتحـرق شوقًا لتذوقها.. لكن اللحظة المناسبة لكي أطلب ما أشاء لم تحِن بعد واختيارها هو نـصف النجـاح.. لـست مـن هـؤلاء الـذين يقبعـون في الظلام لفاجأة ضحاياهم.. بل أتحـرك بخطـى مدروسـة حتـى تـسلم الضحية نفسها طوعًـا.. بـدأتْ في التـودد إلـيَّ بعـد أن انهـار جـدار ترددها.. انسحبنا معًا في خفة إلى الحديقـة دون أن يلحظنـا أحـد.. طلبت الجلوس تحت شجرة في طرف الحديقة.. أعجبني اختيارهـا فالمكان هناك لا يـصله إلا الـضوء الخافـت.. لـن يرانـا أحـد.. كنـت متلهفًا عليها.. لكن الصبر هو مفتاح فوزي الأكيد.. فـالزمن لا يعـن لي شيئًا لأنني أثق في الفوز بنهاية المطاف.. مـشت بخفـة ودلال إلى حيث الشجرة وهي تبتسم في نعومـة.. جلـسنا هنـاك في طمأنينـة.. تبادلنا حـديثًا رقيقًـا.. وجـاءت اللحظـة المناسـبة.. علـت ابتـسامة ناعمة وجهها.. أسـبلت جفنيهـا.. مالـت نحـوي.. ارتـسمت علـى وجهي ابتسامة النصر الذي كنت أثق أنه آتٍ.. ملت إليهـا.. دفنـت وجهي عند رقبتها.. وبـدأت المتعـة.. دبـت الحيـاة في عروقـي مع

خفوت نبضات قلبها ودمائها تسيل إلى فمي.. فأنا مصاص دماء وضحيتي لم تكن سوى مجرد وجبة عشاء لهذه الليلة وغدًا سأجد غيرها وأعلم أنها ستكون وجبة شهية كذلك.. فأنا أجيد اختيار قائمة طعامي.

* * *

كانت صرخات الفزع تتعالى من حولي.. ما إن أضاءت الأنوار حتى ارتفع دوي التصفيق في قاعة العرض التي تعرض أول أفلامي الذي يحقق نجاحًا منقطع النظير.. سواء من ناحية الإيرادات أو من ناحية إشادة النقاد بدوري في الفيلم الذي أمثل فيه دور مصاص دماء وهو دور البطولة.. وقد أجدت فيه تمامًا.. حتى إن شائعة ظهرت ترجح أنني مصاص دماء حقيقي.. وكنت أعزز لدى الناس هذه الشائعة.. فكنت لا أظهر نهارًا وحينما أخرج في الليل كنت أرتدي حلة سوداء قاتمة.. وأحيط نفسي بكل علامات مصاصي الدماء التي يعرفها العامة.. حقيقة كنت أفعل ذلك لجذب الصحافة إليَّ حيث أكون.

كانت تجلس بجانبي في قاعة العرض.. هي تمامًا كما بدت

على الشاشة.. نفس الحيوية.. نفس الرقة.. نفس الأنوثة الطاغية.. دعوتها إلى العشاء في بيتي.. قبلت مبتسمة.. تسللنا من قاعة العرض إلى سيارتي.. وفي المنزل كانت كل الظروف مهيأة لليلة رائعة.. تناولنا العشاء ولاحظت هي أنني لا أمد يدي إلى الطعام.. سألتني: "لماذا لا تشاركني الطعام؟".. أجبتها: "نفسي تشتاق إلى طعام آخر".. نظرت نحوي في دلال وهي تقول: "ولِمَ العجلة؟".. قلت لها: "معك حق.. فالزمن لا يعني لي شيئًا".. مر الوقت وجاءت اللحظة المناسبة.. علت ابتسامة ناعمة وجهها.. أسبلت جفنيها.. مالت نحوي.. ارتسمت على وجهي ابتسامة النصر الذي كنت أثق أنه آت.. ملت إليها.. دفنت وجهي عند رقبتها.. وبدأت المتعة.. دبت الحياة في عروقي مع خفوت نبضات قلبها ودمائها تسيل إلى فمي.. فأنا مصاص دماء "حقيقي" وضحيتي لم تكن سوى مجرد وجبة عشاء لهذه الليلة وغدًا سأجد غيرها وأعلم أنها ستكون وجبة شهية كذلك.. فأنا أجيد اختيار قائمة طعامي.

الإصبع المبتورة

في حياة كل منا لحظة تغير مسار حياته إلى طريق آخر.. إما إلى الأفضل وإما إلى الأسوأ.. وفي حياتي لحظة مهمة من هذه اللحظات.. وعلى الرغم من أنها أكثر لحظات حياتي ألمًا وأشدها قسوة فإنها اللحظة التي أتمسك بها حية في ذاكرتي وأرجو أن تبقى معي إلى الأبد لأتمسك بحياتي الجديدة.. كنت مدمنًا للمخدرات وأفعل أي شيء للحصول على المخدر.. وعلى الرغم من المحاولات

المضنية التي حاولت زوجتي اللجوء إليها لتبعدني عن دائرة الإدمان فإن شيطاني كان أقوى منها وظللت طويلاً أهوي في هذا المنحدر.

ذات مساء عدت إلى منزلي تحت تأثير المخدر.. وحينما شعرت زوجتي بعودتي آثرت ألا تحتك بي وأنا في هذه الحالة وانصرفت في هدوء إلى غرفتها.. لكن ولدي هرول إليَّ فرحًا بتواجدي النادر بالمنزل وهو يفتح ذراعيه ليحتضنني.. قابلته ببرود ولم ألقِ له بالاً.. شعر الطفل بالانكسار فجلس يبكي.. هرولت أمه على صوت بكائه وحينما سألته قص عليها ما حدث.. التفتت تجاهي وهي تقول في غضب تحاول أن تسيطر عليه: "إن كنت تنوي أن تعيش في هذه الحالة إلى الأبد فعلى الأقل لا تكسر بخاطر الصغير وأحسن معاملته".. لم أرد عليها وأشحت بوجهي بعيدًا.. فأضافت: "لقد تعبنا من هذه الحياة.. لا بد أن تجد لنا حلاً.. أصبحنا لا نطيق ذلك".. تملكني الغضب من كلماتها ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أحاول سحبها من شعرها لأخرجها من المنزل الذي لا تطيق الحياة فيه.. قاومتني كثيرًا وهي تصيح: "هذا منزل ولدي ولن أتخلى عنه لمدمن مثلك ليدنسه ويحوله لوكر لتعاطي

المخدرات".. كان بكاء طفلي يعلو وهو يحاول استعطافي كي أترك أمه وشأنها.. استطاعت زوجتي أن تفلت من يدي وتهرول لتحتضن الصغير كي تهدئ من روعه.. فتحت باب المنزل وخرجت غاضبًا.. لاحقني طفلي وهو يرجوني أن أبقى معه.. كان عنادي يدفعني دفعًا إلى الخارج.. طفلي ينـاديني: "أحبك يا أبي وأريدك أن تبقى".. عبرت الطريق وأنا لا أعرف إلى أين أذهب.. خرج الطفل ورائي إلى الشارع وبكاؤه يعلو.. لكنه ما زال يرجوني أن أعود.. صوت أمه من بعيد تطلب منه أن يرجع إلى المنزل.. صرير عجلات يعلو وتصاحبه صرخة الطفل.. نظرت ناحيته.. لم أكن أبعد سوى خطوات.. جسده ملقى على الأرض والدماء تنزف منه بغزارة وتغطي جسده الرقيق.. وجهه تعلوه ملامح ملائكية.. كيف لم أنتبه من قبل أن لطفلي هذا الوجه المشرق.. أكاد أقسم إنه كان يبتسم لي.. أي أحمق أنا كي لا أشعر بهذه الابتسامة إلا وهي تفارقني مع صغيري بلا عودة؟! بعد لحظات حاول سائق السيارة الفرار.. حاولت جاهدًا التعلق بنافذة السيارة كي أمنعه من الهرب.. جسدي الذي أنهكته لحظات المتعة الزائفة مع المخدرات لم يحتمل تعلقي بالنافذة طويلاً وسقطت على الأرض.. فقدت إحدى أصابعي في هذه المحاولة الفاشلة.. أغرق في

غيبوبة.. صراخ زوجتي يلاحقني: "أنت الذي قتلت الطفل.. أنت الذي قتلت الطفل".

كلما نظرت الآن إلى يدي وأتأمل مكان الإصبع المبتورة أشعر وكأنها التذكار الذي أخذه ولدي معه عند رحيله والذي تركه لي كي أعود إلى رشدي.. كلما نظرت إلى مكان هذه الإصبع يزداد تصميمي على ألا أعود كما كنت أبدًا.. أعمل الآن محاضرًا في أحد مراكز علاج الإدمان.. أمد يد المساعدة لآخرين كي يعودوا إلى الصواب قبل أن يحصل أحدهم على تذكار كالذي حصلت عليه.. وكلما بدأت محاضرة لمجموعة جديدة من طالبي العلاج من الإدمان أقص عليهم قصة هذه الإصبع المبتورة.

من يشتريني؟

الفقر خنجر مسمومة مغروسة في قلوب الفقراء.. لا تقتلـهم ولكن تسلب منهم روحهم ببطء في عذاب لا ينتهي.. الجهل خنجـر أخرى مسمومة مغروسة هذه المرة في العقول تجعل الحياة جحيمًا لا يطاق.. هذان هما شقا الرحى التي تطحن عظـام الملايـين مـن النـاس الذين يعيشون مثلي.. حي شعبي أو – كما يسميه الآخـرون – حـي عشوائي "وكأن حياتنا خلت من العشوائية إلا هـذه الأحيـاء".. هـذا

الحي مساكنه ليست أكثر من ألواح خشبية تفصل بين حجرات ضيقة يتراص داخل كل حجرة كومة من البشر.. لا تعرف حياتنا أسرارًا.. فكل همسة يسمعها الجميع.. لا تملك لنفسك حرية ولا خصوصية.. السباب الخارج من مفردات الحياة اليومية.. دخان المخدرات من الروائح ذائعة الصيت واسعة الانتشار في مثل هذه الأحياء.. يعتقد البعض أنها الدواء المسكن الوحيد لآلام مثل هذه الحياة.. في حين يعتقد البعض الآخر أن اللامبالاة هي الحل الأمثل لتحمل هذا القدر.. قليلون هم من يحاولون الإفلات من مثل هذه الحياة.. ربما لأن الجهل هو المسيطر هنا.. وهو الحاكم على هذه العقول.. لكنني لست مثل هذا القطيع.. لست أريد هذه الحياة.. أرغب أن يحتويني بيت حقيقي.. يحمي أسراري ويستر أهلي.. وأجده السكن والمأوى وموطن راحتي.. أرغب أن أخرج من دائرة الفقر بلا عودة وأن أملك بعض المال.

المعلم محمد رشوان.. شخص ثقيل.. يظن نفسه أكثر أهل الأرض معرفة وأعظمهم ذكاء وأوسعهم حيلة.. وأن تواضعه يمنعه من ذكر ذلك أمام الناس "على الرغم من أنه يلح في التلميح إلى ذلك دائمًا".. هذا الرجل هو مفتاح مقبرة الفقر.. سأدفن فقري إلى الأبد عن

طريق هذا الرجل.. هو ليس إلا سمسارًا.. لكنه لا يتاجر في عقار أو منقول.. هو يتاجر في البشر.. تاجر رقيق لكن بمعاني هذا العصر.. هو لا يشتري عبيدًا أو إماء كأسلافه.. بل يشتري قطعًا منهم.. هذا الرجل ليس إلا وسيطًا لتجارة الأعضاء.. ويدفع الكثير.. وهذا الكثير هو وسيلتي للحياة التي أحلم بها.. يقولون إن الإنسان يستطيع أن يعيش بكلية واحدة.. لست أدري ما أهمية الكلى أساسًا في جسدي.. وهي تساوي ثمنًا كبيرًا.. عدة آلاف من الجنيهات وحلمي كله أقل من هذه الآلاف بكثير.. وما دام شكلي الخارجي لن يتأثر.. إذًا لن يعرف أحد.. فلأذهب إذًا إلى محمد رشوان.

طلب مني عدة فحوص طبية وأخذ بصمتي على عدة أوراق وقال إنه سيدفع خمسة آلاف جنيه.. حاولت مساومته على المبلغ.. لم أتمكن من الحصول منه على قرش آخر.. منحني ألف جنيه ووعدني بالباقي بعد الجراحة.

* * *

خبر صغير في صفحة الحوادث بعد عدة أيام "العثور على جثة شاب من دون أعضائها الداخلية ويشتبه في تورط مافيا تجارة الأعضاء".



عمود النور

الليل دائمًا ما يصيبني بالرعب.. فأنا أخاف الظلام والصمت والسكون الذي يلف الليل.. أخاف الأشباح التي تتجول ليلاً على الرغم من أن والدتي طالما حاولت إقناعي أنه لا وجود للجن والعفاريت والأشباح.. لكن الليلة شيء آخر.. فالليلة تحديدًا أكثر ظلامًا من المعتاد وأكثر سكونًا من المعتاد.. وفي هذه الليلة بالذات لم أستطع النوم على الرغم من محاولاتي العديدة.. ضوء ضعيف يدخل

عبر النافذة مصدره عمود النور القديم والوحيد الموجود في الشارع.. هناك خيالات ترتسم على الحائط المواجه للنافذة.. لمحت خيال قطة تتحرك أدرت بصري بسرعة للنافذة حتى لا تدخل القطة لكنها كانت قد انصرفت.. تعجبت.. أين ذهبت هذه القطة ونحن في الدور الخامس؟ لا يمكن أن تكون قد سارت على الحائط الخارجي للعمارة.. أسرعت للنافذة كي أنظر أين ذهبت القطة.. أمعنت النظر في هذا الظلام وضوء عمود النور الضعيف لا يساعدني على وضوح الرؤية فلم أجد القطة ولا أعرف أين ذهبت! أقنعت نفسي أنني لا بد كنت أتوهم رؤية القطة فلا يعقل أن تصل إلى نافذتي مع هذا الارتفاع ولا يمكن أن تكون قد اختفت إلى العدم.. استدرت عائدة إلى سريري.. خشيت أن أبعد نظري عن النافذة لكنني بعد قليل مللت النوم على الجانب نفسه.. تقلبت إلى الجانب الآخر لأواجه الحائط.. لم تمض ثوانٍ حتى رأيت خيال القطة من جديد تعبر نافذتي مرة أخرى.. هذه المرة انتفضت نحو النافذة فلم أجد القطة مرة أخرى.. هرولت إلى النافذة أنظر إلى الخارج ولم أجد أثرًا للقطة أيضًا.. أصابني الرعب وبدأ العرق يتصبب على جبيني فقررت أن أغلق النافذة وأحاول أن أنام.. ترى ما سر هذه القطة؟ وهل هي

حقيقية أم وهم في خيالي؟ مئات الأسئلة أخذت تعصف برأسي حتى نسمات الفجر الأولى وانتشار ضوء النهار.. قمت لأفتح النافذة مرة أخرى لأنني أهوى استنشاق هواء الفجر الصافي النقي.. رأيت الشجرة المزروعة في منتصف الشارع وهناك قطة تنام على أحد غصونها.. ضحكت من نفسي جدًّا لأنني أصبت نفسي بالرعب من لا شيء.

في الصباح كنت أمر بجوار عمود النور الذي تسبب ضوؤه الضعيف في إثارة رعبي ليلة أمس.. رفعت رأسي لأنظر إليه.. فوجئت أن العمود مصباحه مكسور.



الرحلة

ظلام دامس يلف المكان في ليلة غير مقمرة.. لا يجرحه إلا ضوء ضعيف يأتي من أطراف القرية القريبة.. صوت نباح الكلاب القريب من العواء وكأنه بكاء حزين يتناسب تمامًا مع المقابر التي أقف وسطها الآن.. صفير الرياح يعلو من حولي يمنح الأجواء مزيدًا من هذا الجو المثالي لقصص الرعب المعتادة (ظلام – مقابر – قرية بعيدة عن العمران — "عواء" الكلاب – صفير الرياح).. لكن هذه

ليست إحـدى قـصص الرعـب.. فأنـا أقـف بـين المقـابر الآن لقـراءة الفاتحة على روح أبي يرحمه الله واضطرتني الظروف للمجـيء الآن لأنني مسافر إلى الخارج بعـد سـاعات قليلـة مـع مطلـع فجـر اليـوم الجديد.. بعد ساعات قليلة سأغادر بلادي إلى الأبد في رحلة هجـرة إلى ما وراء المحيط.. فأردت أن تكون قراءة الفاتحة لأبي هـي آخـر أفعالي على هذه الأرض التي شهدت كل عمري وذكريـاتي.. عرفـت هنا كل أصدقائي.. قابلت هنـا الحبيبـة الوحيـدة الـتي نـبض قلـبي بمشاعر الحب من أجلها.. ومن أجلها أغادر الآن هذه الأرض.. مـن أجلها أترك عمري كله خلف ظهري.. أتـرك الآن قـبر أبـي دون أن أراه ثانية.. من أجلها أترك وقفة الصباح المعتادة علـى عربـة الفـول المدمس على ناصية شارعنا.. وجلـسة القهـوة مـن أجـل كـوب شـاي الصباح المليء بوريقات النعناع الأخضر الطازج.. مناوشات الأصدقاء في العمل والرهـان علـى نتيجـة مباريـات الأهلـي والزمالـك والمـزاح الثقيل في اليوم التالي بعد المباراة.. صخب الـشوارع وقـت خروجنـا من العمل.. روائح الطعام التي تملأ الشارع وأنـا عائـد مـن العمـل.. دعوات أمي لي بأن أنال رضا الله عز وجل لمجرد أنني تذكرت شراء الخبز أو كيس من الملح.. سهرة يوم الخمـيس مـع الـشلة.. الـتي لم

تنقطع منذ تعارفنا في الجامعة.. صوت النرد على لعبة الطاولة أو أحجار الدومينو ونحن نعيد خلطها من أجل دورة جديدة من اللعب.. طعم الينسون.. رائحة القرفة بالحليب.. أحقًا ألقي بكل هذا وراء ظهري وأغادره إلى الأبد؟ نعم ألقيه بعيدًا.. لكنني ألقي معه كذلك زحام الأوتوبيس وتلاصق الأجساد بداخله.. أتخلص من زحام المرور وألقي معه ذل الطوابير من أجل خدمة ما أو سلعة ما.. ألقي معه عصي الأمن المركزي وقت المظاهرات أمام نقابة المحامين أو الاعتصامات على سلم نقابة الصحافيين.. ألقي معه لجان الشرطة في الشوارع التي تفتش المارة.. ألقي معه فسادًا ورشوة ووساطة.. وهكذا ألقي الحقيبة بكل الجميل بداخلها والسيئ المزروع بين جوانبها.. ألقي الوردة وأشواكها.. ألقي ذلك كله خلفي وأنظر إلى بعيد إلى أرض جديدة.. أصدقاء جدد.. عمل آخر.. عمر آخر.. وأشياء أخرى.

لكن لماذا أفعل ذلك؟ لماذا أبيع هذا كله؟ أمن أجل أن أشتري مستقبلاً سعيدًا.. أم فقط لأرضيها لأنها ترغب في الهجرة.. لأنها تريد أن تنتزع جذورها من هنا وتضعها هناك؟ هل يمكن أن أستيقظ في الصباح لأتناول الهوت دوج بالكاتشب بدلاً من الفول بالزيت

الحار.. أن أشرب الكولا بدلاً من الشاي بالنعناع.. أن أقول Hi everybody بدلاً من (سلامه عليكم يا رجالة).. أن أشاهد اليانكي في لعبة البيسبول أو شيكاجو بولز في لعبة السلة بدلاً من الأهلي والزمالك في كرة القدم؟ هل أستطيع أن أقول ooh أو wow عند حدوث شيء جيد بدلاً من أصيح من داخلي: (الله)؟ هل يمكن أن أخرج مع أصدقائي لتناول المشروبات فيدفع كل منا حسابه لنفسه وينصرف بدلاً من الجدل المعتاد والتصميم الحقيقي بين الأصدقاء على دفع الحساب على القهوة؟ هل أحتمل ألا أزور قبر أبي.. ألا أسمع دعوات أمي إلا عبر الهاتف.. ألا أتمكن من تقبيل يدها كل صباح.. أن أحرم نفسي من ربت يدها على كتفي؟ ومن أجل ماذا أبيع هذه الأشياء كلها؟

قرأت الفاتحة على روح أبي وتركت باقة من الزهور على الضريح.. رويت الصبار المتناثر حول القبر.. أغلقت الباب خلفي وتأكدت من إغلاق القفل.. أعود مثقلاً إلى سيارتي.. يجب أن أسرع على طريق العودة إلى القاهرة لألحق بالطائرة.. أدرت مؤشر الراديو بين المحطات.. لكن صوتًا آخر تسلل إلى ذهني.. كان صوت أبي.. دعائه لي بتسديد خطاي وطلب الستر من الله عز وجل.. هذا الدعاء

المحبب إلى قلبي الذي حرمت منه منذ وفاة أبي.. كان رجلاً رائعًا حافظ على أسرته من تقلبات الزمان وانحدار الأخلاقيات المتسارع حولنا في كل مكان.. وصلت إلى مدخل القاهرة واتخذت الطريق الدائري نحو المطار.. صممت ألا تذهب أمي إلى وداعي عند المطار.. فيقينًا ستبكي وأنا لا أحتمل دموعها اللؤلؤية أبدًا.. وصلت إلى بوابة المطار.. زخات صغيرة من المطر تتساقط مع نسمات الفجر الأولى.. شاهدتها واقفة عند بوابة الدخول تلوح لي.. اقتربت منها بادرتني بالسؤال: (أين حقائبك؟).. أجبت بابتسامة: (عفوًا حبيبتي.. فأنا لن أسافر).



المصعد

يصيبني الرعب الدائم عند استخدام المصعد.. فأنا أخشى دائما وأبدًا أن يسقط بي وأموت بهذه الطريقة.. ركبت المصعد هذه المرة وقلبي يكاد يقفز من حنجرتي من الخوف.. لكن سيدة مسنة لحقت بي داخل المصعد جعلتني أطمئن لوجودها.. بين الدورين الرابع والخامس انقطع التيار الكهربائي عن العمارة وتوقف المصعد أمام الحائط وساد الظلام في المكان الضيق.. شعرت أن الكون ينهار

فوق رأسي وزاد من رعبي أن السيدة بدأت في البكاء والنحيب.. أخذت أدق بعنف على جدران المصعد حتى يسمعنا أحد ويسعى لإنقاذنا.. بعد لحظات سمعت أصواتًا تتجمع وتحاول فعل أي شيء لإخراجنا من المصعد.. كان الأمل في الخروج يريح أعصابي بعض الشيء.. لكن نحيب السيدة المسنة كان يعيد إليَّ رعبي وتوتري.. صرخت فيها بكل قوتي: (اصمتي أيتها المرأة.. أنت تثيرين أعصابي).. صمتت بالفعل وبعد قليل تحرك المصعد قليلا إلى أسفل بفضل جهود الناس الذين يحاولون إنقاذنا حتى استطاعوا تحريك المصعد ليصل إلى جزء من الباب وفتحه.. نظر أحدهم إلى الداخل ومد يده لإخراجي فطلبت منه مساعدة السيدة المسنة أولاً.. سلط المصباح إلى داخل المصعد ثم سألني: (أين هي هذه السيدة؟).. نظرت حولي على ضوء المصباح فلم أجد أحدًا غيري في المصعد.. في ثوانٍ غامت بي الدنيا وسقطتُ فاقد الوعي.

المكان

دائما ما تربطني علاقة عاطفية بالأماكن.. أشعر بالمكان وكأنه يتنفس ويحيا وكأنه يرانا ويشعر بنا يقبل منا أشخاصًا ويلفظ آخرين.. حينما تتواجد في مكان ما وتشعر بانقباض قلبك عليك أن تفهم أن المكان لا يريدك فيه ولا يشعر براحة لتواجدك.. أتخيل أن مكاني في هذا العالم يشعر نحوي بنفس العشق الذي أكنه له.. حينما أتجول في الشارع الذي أسكن فيه أرى ألوانه زاهية أكثر وجدرانه

تبتسم بشكل ما حينما أمر بجوارها.. إلا اليوم.. اليوم فقط أشعر أن ألوان الشارع باهتة.. أن الجدران حزينة وحزنها زاد تهالكها.. حتى خطواتي على سلم البناية أصبحت أثقل وكأن السلم يرفض صعودي عليه.. لا أفهم لماذا يرفض المفتاح بإصرار أن يدور في الباب.. لكنه رضخ في نهاية الأمر وفتح الباب.. أتوهم أن الردهة أصبحت أضيق من ذي قبل.. ألقي بجسدي المنهك إلى أقرب كرسي.. تتناهى إلى مسامعي أنات خافتة ثم ضحكة هامسة سرعان ما سكتت.. لم أفهم في بادئ الأمر.. لكن الأصوات تتكرر من جديد.. أتوجه إلى مصدر الصوت.. أزيح باب الحجرة بهدوء.. تطالعني صور لا أرغب في رؤيتها.. الجسدان العاريان المتلاصقان يدنسان سريري.. تقتحم أذني أصوات الأنات وتسارع الأنفاس.. هل ترفض ساقاي الاستمرار في حملي أم أرفض أنا أن أظل واقفًا هكذا؟ هل وقع الخيانة مؤلم أم أن الصدمة تأتيك فقط لأنك لا تتوقع الخيانة؟ أشعر أن أفكاري قد هربت من رأسي.. أن مشاعري قد ماتت.. أن نبضات قلبي قد توقفت.. أن الزمن قد توقف أيضًا.. حتى إن ما أراه قد تجمد كذلك.. أنسحب في هدوء وكأني أرفض أن يشارك صوت خطواتي هذه الأصوات.. أخرج من منزلي وأعود إلى الشارع.. ما زالت ألوانه باهتة وهواؤه مقبضًا..

فهمت الآن ما السبب.. إن مكاني الذي أحبه أشفق عليَّ مما يحدث في بيتي.. مكاني كذلك يرفض ما رأيت.. لكنه يرفضني أيضًا لأنني قد أكون سببًا في حدوث ما حدث.. هل وقعت في خطأ ما جعلني في موقف الضحية الآن؟ وهل كل ضحية يمكن أن تعفى من اللوم عندما تقع في الشَرَك؟ مئات الصور تتسارع داخل عقلي.. آلاف الأشياء تتردد في جنبات ذهني.. ملايين الأسباب تتقافز في تفكيري.. أنا الملوم بلا شك.. أنا الملوم لأنني غفلت.. لأنني أخطأت الاختيار.. لست ضحية.. لكنني شريك في الجرم.

عدت لزيارة المكان بعد سنوات طوال لم تطأه قدماي.. لم أعد لها بالقطع.. فهي لم تعد موجودة في حياتي ولا في حياة المكان.. عدت للمكان لكنني أظنه لم يعرفني بعد كل هذه السنوات.. أو أنه تغير مثلما تغيرت.. لم تزهُ ألوانه لرؤيتي.. لم تبتسم جدرانه عند مروري هذه المرة.. رفعت بصري إلى النافذة القديمة.. احتل التراب مساحات كبيرة منها.. درجات السلم فقدت الكثير من شبابها.. لم تعد تحتمل خطواتي عليها.. هذه المرة لم أفلح في جعل المفتاح يدور في الباب.. عدت أدراجي إلى الشارع من جديد.. على بعد خطوات منه ألقيت مفتاح الشقة ومزقت كل علاقة لي بالمكان.

الحلم

أستيقظ من نومي مندهشًا.. فهذا هو حلمي الأول منذ سنوات.. لست أدري لماذا نضبت الأحلام من عقلي لسنوات! ولماذا تعود الآن! أنفض عني بقايا النوم لكنني لا أغادر السرير.. ظللت أحدق في السقف لدقائق محاولاً إيجاد تفسير لهذا الحلم.. لم أفلح مطلقًا في العثور على التفسير المناسب.. قبل أن أخرج من منزلي كنت قد نسيت تفاصيل الحلم ولم أعد أذكر هل كان حلمًا جميلاً أم

كابوسًا مفزعًا..

حينما دخلت في الفراش في الليلـة التاليـة أخـذت أتـساءل: هل سيعود الحلم مـن جديـد؟ حاولـت الاستـسلام للنـوم.. لكنـه لم يأتِ.. مـع ضـوء الفجـر الجديـد نهـضت مـن فراشـي واتجهـت إلى الشباك.. كم هـي رائعـة نـسمات النهـار الجديـد.. لمـاذا تبـدو كـل الأشـياء أجمـل مـع لحظـات الـضوء الأول؟ يـتملكني نـشاط عجيـب كأنني نمت عميقًا بالأمس علـى الـرغم مـن أنـني في الحقيقـة لم أنم مطلقًا.

في الليلة التالية سرعان ما تسلل النوم إلى جفني وسرعان مـا تسلل الحلم إلى عقلي.. حديقة غنَّاء مترامية الأطـراف تزهـر فيهـا كل أنواع الأزهار وتنبت فيها كـل أنـواع الفاكهـة.. النـضارة تحـيط بكل المكان وغناء البلابل والعصافير يملأ الأرجاء.. في الأفـق البعيـد أرى النسور تحوم حول المكان.. تتوافد إلى الحديقة.. تمـلأ سماءهـا حتى تحجب الشمس فتذبل الأزهار لغياب النور.. تخـاف البلابـل من الغناء.. تختفي نضرة الحديقـة ويغزوهـا اللـون الأصـفر.. تبـدأ النسور في اختطاف الحمائم واحـدة تلـو الأخـرى.. ظننـت أن عمـرًا طويلاً قد مضى وأن الحمائم لا بد أنها ستختفي عمًّا قريب لكثرة مـا

أكلت النسور.. أخشى أن تتخاطفني النسور أنا أيضًا.. كل الحمام يخشى المصير نفسه.. نعود جميعًا إلى أعشاشنا فوق الأشجار هربًا من المخالب الغادرة.. تحاول أشعة الشمس أن تخترق أجنحة النسور لتصل إلى الحديقة كي تعيد إليها نضارتها.. لكن النسور تتعمد أن تفرد أجنحتها أكثر كي تحجب عنا ضوء الشمس.. لكن تنجح بقعة ضوء في الإفلات وتوقظ الأزهار من جديد.. يهرع كل الحمام إلى بقعة الضوء ليحصل على دفء الشمس البعيدة.. تحاول النسور إبعادنا من جديد عن هذا النور.. تأكل بعضًا منا.. لكن الحمائم تزداد تمسكًا بالنور.. دون اتفاق نسعى جميعًا إلى أعلى حتى نحصل على نور أكثر يدفئنا ويعيد نضارة حديقتنا.. تحاول النسور منعنا.. نزداد إصرارًا على الطيران لأعلى.. بدأت النسور تتساقط أمامنا.. بدأت تهرب.. تتخبط.. حتى سقطت وعادت الشمس تضيء الحديقة وتمنحها الدفء وتتفتح أزهارها من جديد.

ينتزعني من حلمي هزات عنيفة من أخي كي أصحو.. يجذبني نحو التلفاز كي أشاهد النسر الأكبر وهو يتخلى عن السلطة في حديقتنا ليعود إلى الحمائم نور الحرية من جديد.



السنوات العجاف السبع

إرتعش قلبي.. أصابني شعور عميق بالوجع.. إقشعرت أطرافي.. إرتجفت مفاصلي دون أن أدرى لماذا أصابتني هذه المشاعر، ولماذا هذا التوقيت تحديداً؟.. قررت فجاءة العودة إلى المنزل.

وصلت المنزل قبل مواعيدي المعتادة دون أن أعي السبب وراء تثاقل خطواتي على السلم وكأن شيئاً ما يجذبني للخلف.. أدرت المفتاح وكان ثقيلاً على غير العادة.. فتحت الباب فتلفحني لسعة

برد غريبة نحن فى أغسطس أكثر شهور العام سخونة!!!، دخلت إلى الشقة.. مثقلة بالصمت.. ألقيت التحية على الجميع.. كانت الردود مقتضبة دون الترحاب المعتاد.. بادرت بالسؤال عن والدي المريض بالمستشفى فلم أراه منذ غادرته فى الصباح وأطمئنت جوارحى من حديثهم عنه إذ كان بطبيعته وكأنه لم يمرض قط.. بعد الاستحمام والطعام سمعت رنين الهاتف.. أفزعني.. إلتقطت السماعة "ألو".. "أيوة يافندم مين معايا".. "أهلاً وسهلاً".. "إيه؟".. "إمتى؟".. إختفت من حولي الصور والأصوات والروائح.. إختفى من حولى الكون.. فقط صورته هو أمامي يبتسم.. "بابا.. عامل إيه؟" ابتسم بسمة صافية كينبوع ماء.. كان وجهه مشرقاً ومسبحته لم تفارق يده بعد.. إستدار وانصرف ومازال يبتسم.

لو أنك نائماَ دون غطاء في ليلة من ليالي الشتاء الباردة مستلقياً عارياً في صحراء سيبيريا الجليدية فأنت حتماً تشعر بالدفء أكثر منى في هذه اللحظة التي أغلقت فيها سماعة الهاتف.. لم أشعر بالحزن المعتاد لفراق الأحباب.. بل شعرت بالوجع.. بالغربة.. بالوحدة.

* * *

أبى.. مرت سنوات عجاف سبع على حياة الأسرة منذ رحلت.. أفتقدك جداً ليس كما تفتقدك الأسرة بل بشكل مختلف عن الجميع فهم يفتقدون أباً أو زوجاً لكنني أفتقدك صديقاً.. معلماً.. أفتقد الدفء والقدرة على السعادة التي إنجرحت في حياتي برحيلك.. كما أفتقدك الأب العظيم.. أبى ألقاك بعد قليل فما الحياة إلا قليلاً مهما طالت.

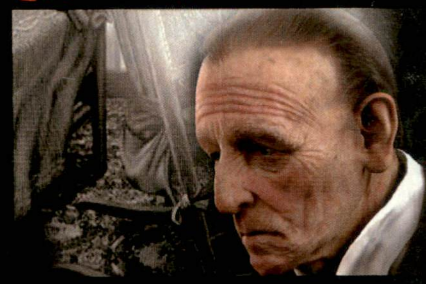


الفهرس





ذكريات للبيع



محمد فاروق الشاذلي

رحلة تمتد من الميلاد إلى الموت.. تمتلئ بالذكريات.. تحافظ على ذكري .. تهجر ذكري.. تحاول أن تمحو ذكري.. لكن..

تستمر الرحلة.. وتزيد الذكريات.. حتى يحين موعد مواجهة ذكرياتك..

منا من يخشى المواجهة، ومنا من يتمنى هذه المواجهة، ولا يتمكن منها.. فنقرر.. أن تبقى هذه الذكريات في وجداننا.. ونعرض ذكريات للبيع.. لتنفجر الأسئلة داخلنا..

هل يمكن للمرء أن يبيع ذكرياته؟

وهل تساوى الذكريات شيئا إذا عرضت للبيع؟

هذه أسئلتي.. أما الإجابات.. فهي عندك أنت!

مع ازدياد كم الأعمال التي يبدعها الشباب -خاصة بعد ثورة يناير العظيمة- وفي ظل الظروف الحالية التي تمر بها مصر. أصبح سوق النشر والتوزيع في حالة ضعيفة، خاصة مع استمرار ازدياد أسعار الخامات، وإحجام كثير من دور النشر على ممارسة نشاطها بتوسع. وضعف القدرة الشرائية للقارئ المصري. كذلك صارت عملية النشر محفوفة بالمخاطر. التي تخيف طرفيها - الناشر والقارئ - على حد سواء..

وكانت الدار نفسها من الدور التي تأثرت - وبشدة - اقتصاديا. ومع اضطرارها لإغلاق باب تقديم الأعمال هذا العام، فكرنا في حل بديل، هو النشر لمن يستحق.. وتطورت الفكرة كثيرا. إيمانا من دار ليلى (كيان كورب) بأهمية الحركة الثقافية. وحرصا منها على استمرارها في دورها، وإيمانا منها - كما عهدتموها- بالشباب الموهوب.. ليصبح بين أيديكم، هذا الكتاب.

الناشـــر

